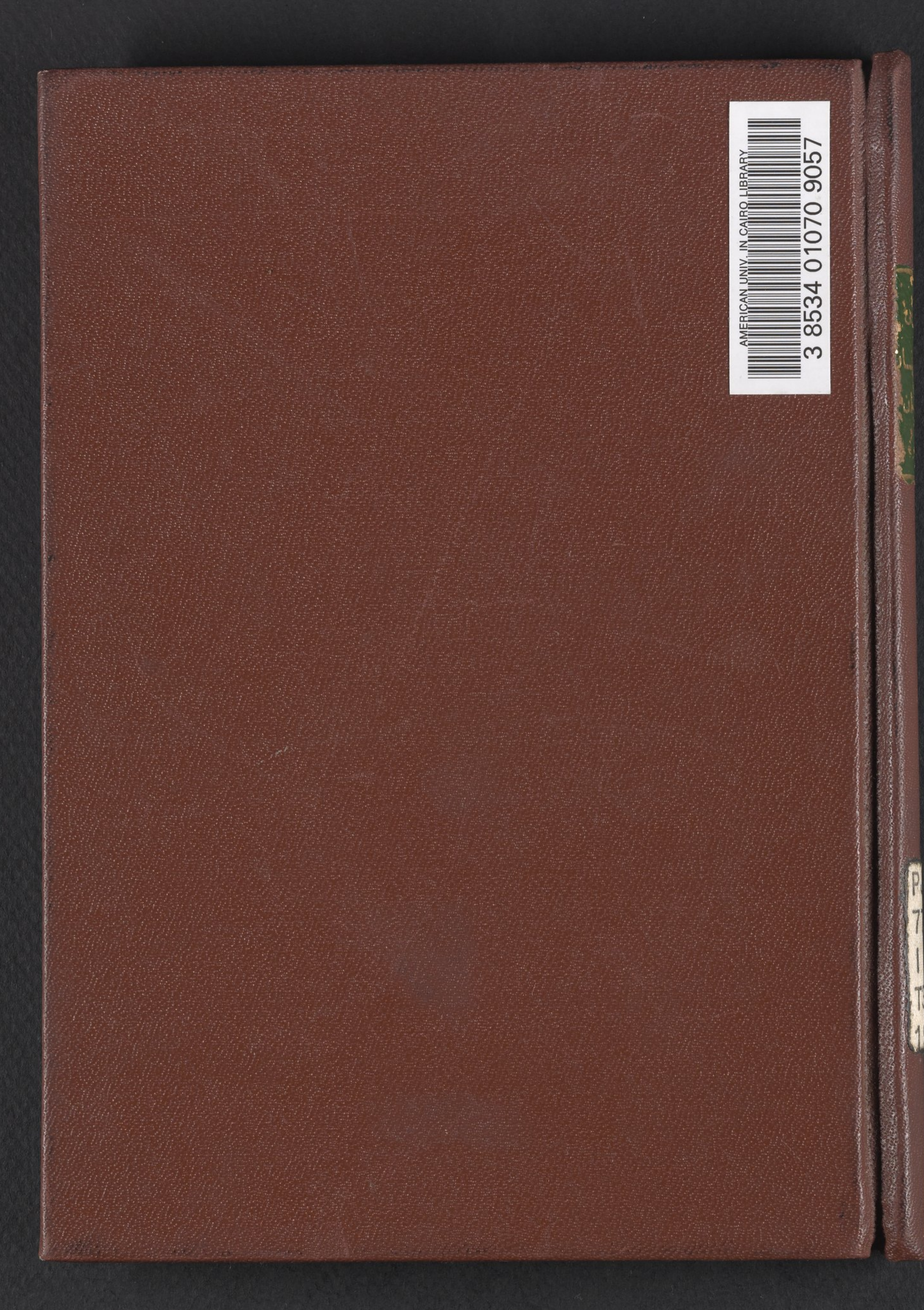
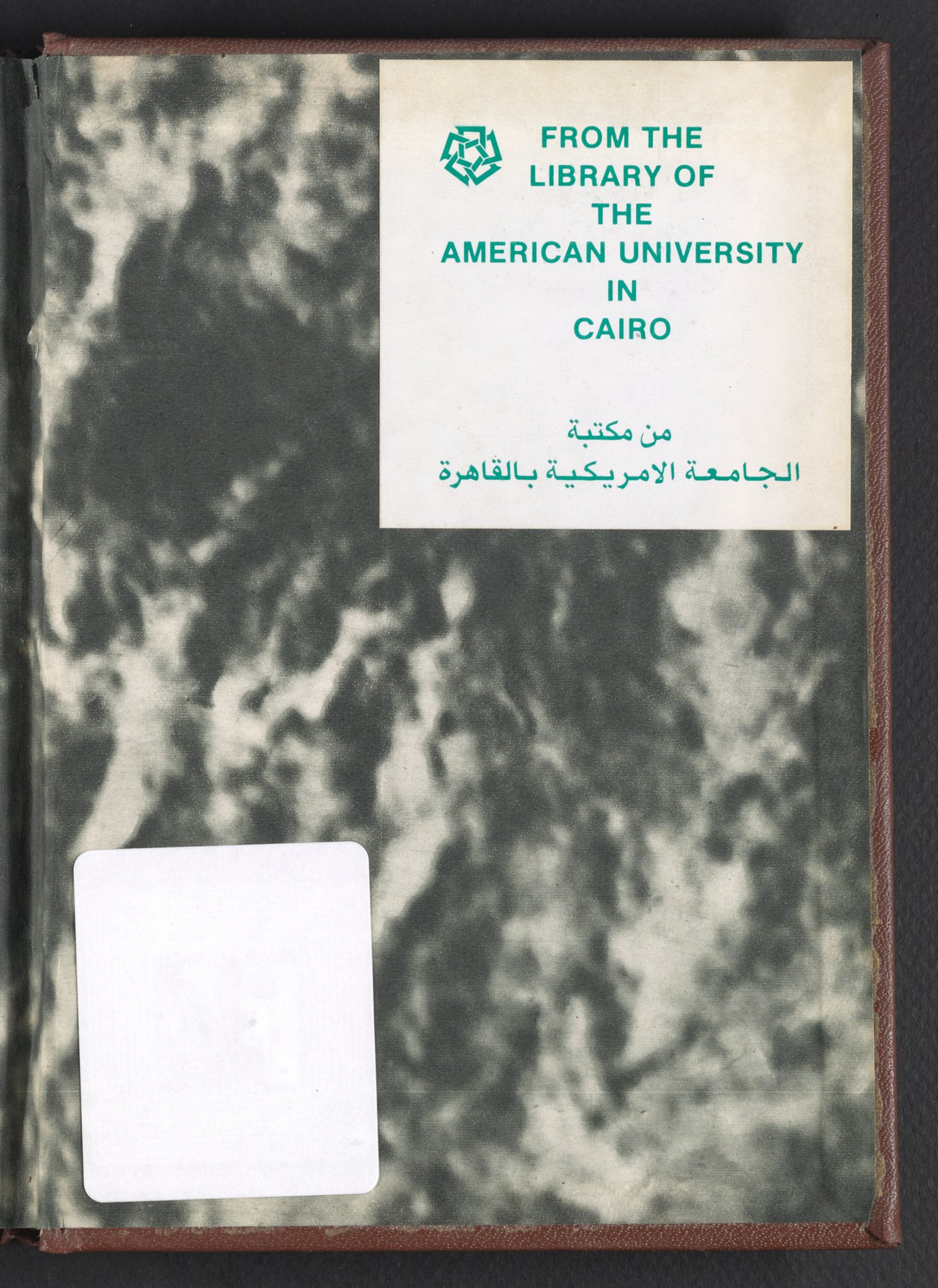
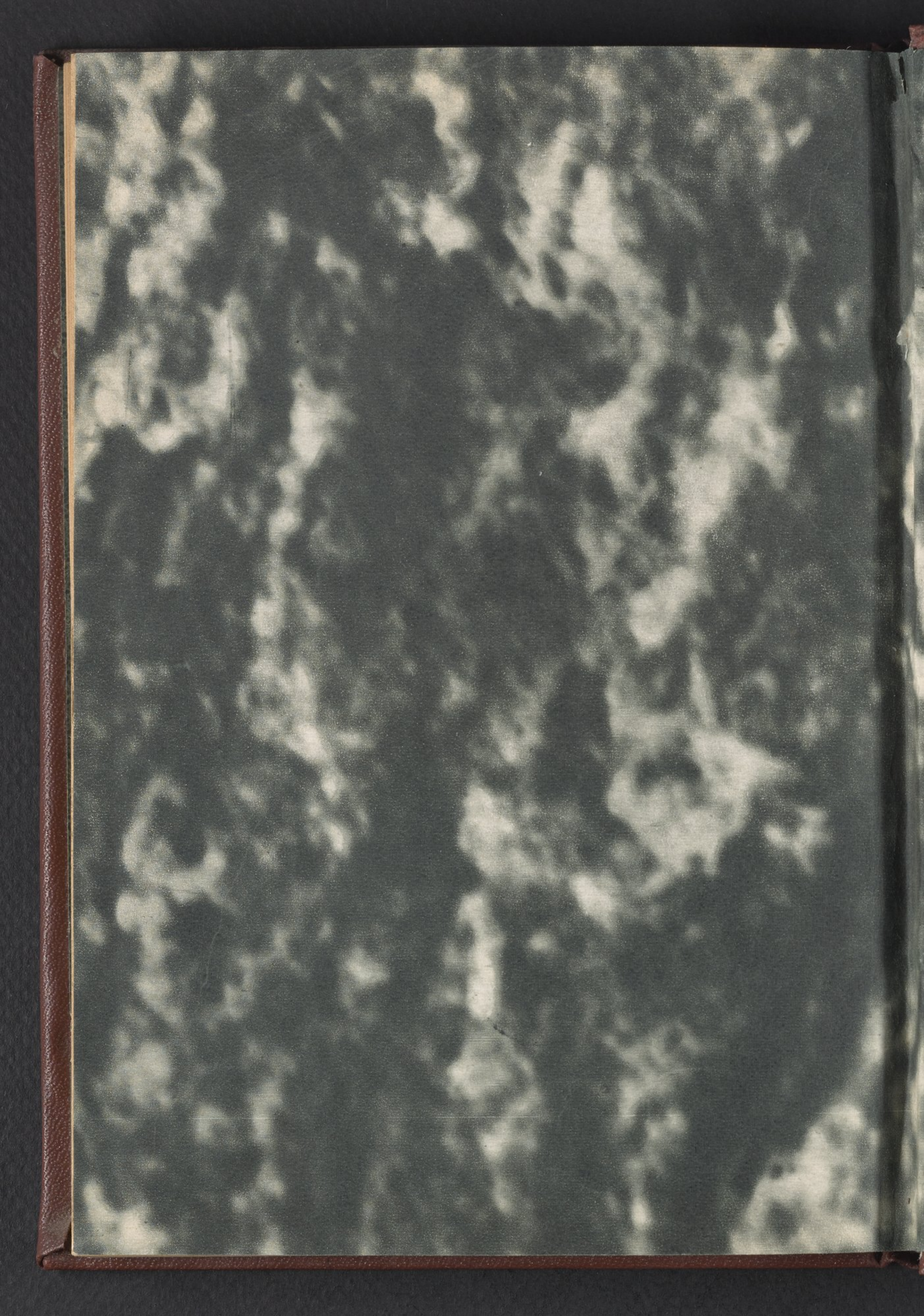

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01070 9057


FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO
من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة



٢٩

طبائع الانسان و الحيوان

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب.
فيه ادب– وأقوال – ونوادر – وملح–
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

طبائع الانسان والحيوان

هو كتاب الزبرجدة الثانية من العقـد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

٢٩

طبائع الإنسان والحيوان

مكتبة صادر
بيروت

كتاب الزبرجدة الثانية

في بيان طبائع الانسان ، وسائر الحيوان ، وتفاضل البلدان

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا في المُتنبئين والممرورين ، والبخلاء والطفيليين ، والمحدودين .

ونحن قائلون ، بعون الله وتوفيقه ، في طبائع الإنسان وسائر الحيوان ، وتفاضل البلدان ، والنعمة والسرور ، إذ لم يكن مدار الدنيا إلا عليها ، ولا قوامُ الأبدان إلا بها ، وإذ هي ثمرُ الفِراسةِ [1] ، وتركيب الغريزة ، واختلاف الهِمم ، وطيبُ الشيم ، وتفاضلُ الطُّعوم .

وقد تكلم الناس في النَّعمة والسرور ، على تباينِ أحوالهم ، واختلافِ هممهم ، وتفاوت عقولهم ، وما يُجانِسُ كلَّ رجلٍ منهم في طَبعِه ، ويؤالفُه في نفسه ، ويميل إليه في وَهمه .

وإنما اختلفَ الناسُ في هذا المَذهب لاختلافِ أنفسهم ، فمنهم مَن نفسُه غضبيّةٌ ، فإنما هَمُّه منافسةُ الأكفاءِ ، ومُغالبةُ

---

[1] الفراسة : ادراك الباطن من النظر الى الظاهر .

كتاب الزبرجدة الثانية

في بيان طبائع الانسان ، وسائر الحيوان ، وتفاضـل البلدان

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا في المُتنبئين والممرورين ، والبخلاء والطفيليين ، والمحدودين .

ونحن قائلون ، بعون الله وتوفيقه ، في طبائع الإنسان وسائر الحيوان ، وتفاضل البلدان ، والنعمة والسرور ، إذ لم يكن مدار الدنيا إلا عليها ، ولا قوامُ الأبدان إلا بها ، وإذ هي ثمرُ الفِراسةِ[1] ، وتركيب الغريزة ، واختلاف الهِمم ، وطيبُ الشيم ، وتفاضلُ الطُّعوم .

وقد تكلم الناس في النَّعمة والسرور ، على تباينِ أحوالهِم ، واختلافِ هممهم ، وتفاوت عقولهم ، وما يُجانِسُ كلَّ رجلٍ منهم في طَبعِه ، ويؤالفُه في نفسه ، ويميل إليه في وَهمه .

وإنما اختلفَ الناسُ في هذا المَذهب لاختلافِ أنفسهم ، فمنهم مَن نفسُه غضبيّةٌ ، فإنما هَمُّه منافسةُ الأكفاءِ ، ومُغالبةُ

---

1 الفراسة : ادراك الباطن من النظر الى الظاهر .

الأقران ، ومكاثرةُ العشيرة . ومنهم مَن نفسُه ملكيّةٌ ، فإنما همُّــه التّفنُّن في العلوم ، وإدراك الحقائق ، والنظر في العواقب . ومنهم مَن نفسُه بهيميّةٌ ، فإنما همه طلب الراحة ، وإهمالُ النفس[1] على الشهوةِ من الطعامِ والشراب والنكاحِ ، وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفُرسُ دهرها كلّه ، فقالوا : يومُ المطرِ للشُربِ ، ويومُ الريحِ للنوم، ويوم الدّجنِ[2] للصيدِ، ويومُ الصَحو للجُلوس . وهي أغلبُ الطبائع على الانسان ، لأخذِها بمجامع هواه ، وإيثارِ الراحة ، وقلّة العمل ، فمنه قولهم : الرأيُ نائمٌ والهوى يقظان. وقولهم: الهوى إله معبود . وقولهم : ربيعُ القلبِ ما اشتهى . وقولهم : لا عيشَ كطيبِ نفسٍ .

---

١ إهمال النفس : إرسالها وتركها .
٢ الدجن : الغيم المطبق .

النفس الملكية

قيل لضِرار بن عمرو : ما السرورُ ؟

قال : إقامةُ الحجّةِ ، وإيضاحُ الشُبهة .

•

وقيل لآخرَ : ما السرور ؟

قال : إحياءُ السُّنّةِ ، وإماتةُ البِدعة .

•

وقيل لآخر : ما السرور ؟

قال : إدراكُ الحقيقة ، واستنباطُ الدّقيقة .

•

وقال الحجّاجُ بنُ يوسف لخُريم الناعم : ما النّعمةُ ؟

قال : الأمنُ ، فإني رأيتُ الخائف لا يَنتفع بعيشٍ .

قال له : زِدني .

قال : فالصحّة ، فإني رأيت المريضَ لا يَنتفعُ بعيش .

قال له : زِدني .

قال : الغِنى ، فإني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش .

قال له : زدني .

قال : فالشباب ، فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش .

قال له : زدني .

قال : ما أجد مزيداً .

●

وقيل لأعرابي : ما السرور ؟

قال : الأمن والعافية .

●

النفس الغضبية

قيل لحُضين بن المُنذر : ما السرور ؟

قال : لواءٌ منشورٌ ، والجلوسُ على السريرِ ، والسلام عليك أيها الأمير .

•

وقيل للحسن بن سهل : ما السرور ؟

قال : توقيعٌ جائزٌ ، وامرٌ نافذ .

•

وقيل لعبد الله بن الاهتم : ما السرور ؟

قال : رفعُ الأولياء ، ووضعُ الأعداء ، وطولُ البقـاء ، مع الصحة والنماء .

•

وقيل لزياد : ما السرور ؟

قال : مَن طالَ عُمره ، ورأى في عدوه ما يسرُّه .

•

وقيل لأبي مسلم صاحب الدعوة : ما السرور ؟

قال : ركوبُ الهماجة[1] ، وقتل الجبابرة .

•

وقيل له : ما اللذة ؟

قال : إقبال الزمان ، وعز السلطان .

•

---

[1] الهماجة : الواحد هملاج ، وهو الدابة الحسنة السير في سرعة وبخترة .

النفس البهيمية

قيل لامرئ القيس : ما السرور ؟

قال : بيضاء رُعْبوبةٌ[1] ، بالطِّيب مَشبوبةٌ[2] ، باللحم مكروبة[3] .

وكان مَفتوناً بالنساء .

•

وقيل لأعشى بكر : ما السرور ؟

قال : صَهباء صافية ، تَمزجها ساقية ، من صوب غادية .

وكان مُغرماً بالشراب .

•

وقيل لطَرفة : ما السرور ؟

فقال : مَطعم هنيّ ، ومشرب رويّ ، وملبس دفيّ ، ومركب وطيّ .

---

١ الرعبوبة : الناعمة .
٢ المشبوبة : الموقدة .
٣ مكروبة : مشدودة .

وكان يؤثر الخَفض والدّعة[1] .

•

وقال طرفة :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشة الفتى ،
وجَدِّك ، لم أحفِل متى قام عُوّدي[2]

فمنهنّ سَبقُ العاذلات بشَربة
كُميتٍ ، متى ما تُعْـلَ بالماء تُزبد

وكَرّي ، إذا نادى المُضاف ، مُحَنَّباً ،
كسِيد الغَضا ، في الطّخية ، المتورّد[3]

وتقصيرُ يوم الدّجن ، والدّجنُ مُعجِب ،
ببَهْكَنةٍ ، تحت الخِباء المُمدّد[4]

وسمع بهذه الأبيات عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، فقال : وأنا والله لولا ثلاث لم أحفِل متى قام عُوّدي : لولا أن

---

١ الخفض : هناء العيش . الدعة : السكينة والراحة .
٢ وجدك : قسماً بحظك .
٣ المحنب : الفرس في يده انحناء . السيد : الذئب . الغضا : شجر صلب . الطخية : الظلام .
٤ البهكنة : الشابة الغضّة .

أَعدِلَ في الرعيّة ، وأَقسِمَ بالسويّة ، وأنفرَ في السريّة .

•

وقال عبدُ الله بنُ نَهيك على مذهبِ طرفة :

فلولا ثلاثٌ هُنّ من عيشة الفتى ،
وربِّك ، لم أحفِل متى قام رامسُ

فمنهنّ سَبقُ العاذلات بشَربة ،
كأنّ أخاها ، مطلِعَ الشمسِ ، ناعِس

ومنهنّ تقريطُ الجَواد عِنانَه ،
إذا ابتدر الشخصَ الكميَّ ، الفوارس[1]

ومنهن تجريد الكواكب كالدُّمى ،
إذا ابتُزّ ، عن أكفالِهن ، الملابس

•

وقيل ليزيد بن مزيد : ما السرور ؟
قال : قبلةٌ على غفلة .
وكان صاحب وصائف .

•

---

١ تقريط الفرس : إلجامه ، أو جعل عنانه وراء أذنه عند طرح اللجام .

وقيل لحُرقةَ بنت النعمان : ما كانت لذة أبيك ؟

قالت : شُربُ الجِريال[1] ، ومحادثة الرجال .

•

وقيل لحُضين بن المُنذر : ما السرور ؟

قال : دارٌ قَوراء[2] ، وجارية حَـوراء ، وفرس مُرتبط بالفناء .

•

وقيل للحسن بن هانىء : ما السرور ؟

قال : مجالسة الفِتيان ، في بيوت القيان ، ومنادمةُ الإخوان ، على قُضُب الرَّيحان . وأنشأ يقول :

قلتُ، بالقُفْص، لمُوسى ، ونَداماي نِيـامُ[3]
يا رَضيعَيْ ثَديِ أمٍّ ، ليس لي عنـه فِطام
إنّمـا العيشُ سَماعٌ ، ومُـدامٌ ، ونِدامُ
فإذا فاتك هـذا ، فعلى الدنيـا السلامُ

•

---

١ الجريال : الخمر .

٢ قوراء : واسعة .

٣ القفص : قرية بين بغداد وعكبراء .

وقال معاوية لعبد الله بن جعفر : ما أطيبُ العيش ؟

قال : ليس هذا من مسائلك يا أمير المؤمنين .

قال : عزمت عليك لتقولنّ .

قال : هَتكُ الحَيا ، واتّباع الهوى .

•

وقال معاوية لعمرو بن العاص : ما العيش ؟

قال : ليَخرجْ مَن هاهنا مِن الأحداث .

فخرجوا . فقال : العيش كله في إسقاط المُروءة .

•

وقال هشام بن عبد الملك : ألذّ الأشياءِ كلِّها جليسٌ مُساعد ، يُسقِطُ عني مؤونة التحفظ .

•

وقيل لأعرابي : ما السرور ؟

قال : لُبسُ البالي في الصيف ، والجديدِ في الشتاء .

•

وقيل لآخر : ما النّعيم ؟

قال : الماءُ الحارُّ في الشتاء ، والباردُ في الصيف .

البنيانُ

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : من بنى بنياناً فَلْيُتقنه .

•

وقالت الحكماء : لذة الطعامِ والشراب ساعةٌ ، ولذةُ الثوبِ يومٌ ، ولذة المرأةِ شهرٌ ، ولذة البنيان دهرٌ . كلما نظرتَ إليه تجدّدت لذّتُه في قلبِك ، وحسنُه في عينك .

•

وقالوا : دارُ الرجل جنّتُه في الدنيا .

•

وقالوا : ينبغي للدار أن تكون أولَ مـــا يُبتاعُ وآخرَ ما يُباع .

•

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر بن يحيى ، حين اختطّ دارَه ليبنيها : هي قميصُك ، إن شئت فضيّق ، وان شئت فوسّع .

•

وقال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : كيف منزلُك بمنبج ؟

قال : دون منازلِ أهلي ، وفوقَ منازلِ أهلِها .

قال : وكيف ذلك ، وقدرُك فوقَ أقدارِهم ؟

قال : ذلك خُلقُ أميرِ المؤمنين أحتذي مثالَه .

•

ولما دخل هارونُ مَنْبجاً قال لعبد الملك بن صالح : هذا منزلُك؟

قال : هو لأمير المؤمنين ، ولي به .

قال : كيف ماؤه ؟

قال : أطيب ماء .

قال : كيف هواؤه ؟

قال : أفسح هواء .

•

وذُكر عند جعفر بن يحيى الدارُ الفسيحةُ الجو ، الطيبةُ النسيم ، فقال رجلٌ عنده : لقد دخلتُ الطائفَ فكأني كنت أبشَّر ، وكأنَّ قلبي ينضَحُ بالسرور ، ولا أجد لذلك علة إلا طيبَ نسيمها ، وانفساحَ هوائها .

•

وقيل للحسن بن سهل : كيف نزَلت الأطراف ؟

قال : لأنها منازلُ الأشراف ، ينالون فيها ما أرادوا بالقُدرة ، وينالهم فيها من أرادهم بالحاجة .

قولهم في الدار الضيقة

ما هي إلا قُوَارةُ حافر[1] ، وما هي إلا وِجار ضَبُع ، وما هي إلاّ قُتْرة قانص[2] ، وما هي إلا مَفحص[3] قَطاة .

•

وقالوا : ما هي إلاّ مَحَلة يَعسوب برأس سنان[4] .

•

ومن مات في دار ضيقة قيل فيه : خرج من قبر الى قبر .

---

١ القوارة : ما استدار من باطن الحافر .

٢ القترة : ما يبنيه القانص ، اي الصياد ، كالبيت ليستتر فيه عن الصيد .

٣ المفحص : المكان الذي تفحص ، تحفر التراب عنه لتبيض فيه .

٤ اليعسوب : رئيس القوم وسيدهم. وكان الرئيس إذا قُتل جُعل رأسه على سنان.

من كره البنيان

كتب سعدُ بن أبي وقّاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في بناء بيته ، فقال : ابنِ ما يُكنّك عن الهواجِر ، وأذى المطر.

•

وكتب عامل لعمر بن عبد العزيز يستأذنه في بناء مدينة ، فكتب إليه : ابنِها بالعدل ، ونَقِّ طرقها من الظلم .

•

ومر عمرُ بن الخطاب ببنـاء يبني بآجُرٍّ وجص[1] ، فقال : لمن هذا ؟

فقيل : لعامل من عُمّالك .

فقال : أبتِ الدراهم إلاّ ان تُخرجَ أعناقَها .

وأرسل إليه مَن يُشاطره ماله .

•

وقيل ليزيد بن المُهلّب : ما لك لا تبني ؟

قال : منزلي دار الإمارة ، أو الحَبس .

•

---

١ الآجرّ : القرميد . الجص : الكلس .

ومر رجلٌ من الخوارج بدار تُبنى فقال : مَن هـذا الذي يُقيم كفيلًا ؟

والخوارج تقول : كلُّ مـالٍ لا يخرجُ بخروجِك ويرجِـعُ برجوعِك ، فإنما هو كفيل بك .

•

ولما بنى أبو جعفر داره بالأنبارِ دخلها مع عبدالله بن الحسن، فجعل يُريه بنيانَه فيها، وما شيّد من المصانع والقصور، فتمثّل عبد الله بن الحسن بهذه الابيات :

ألم ترَ حَوشَباً أضحى يبنّـي قُصوراً ، نَفعُها لبني بُقَيله
يؤمّـل أن يُعمَّر عُمْرَ نوحٍ وأَمرُ الله يَحدثُ كُلَّ ليله

•

وقالوا في الحجاج بن يوسف ، إذ بنى مدينة واسط : بناها في غير بلده ، وأورثها غير ولده .

اللباس

إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران: رداء وعمامة .

●

علي بن عاصم عن أبي إسحق الشيباني قال : مررت بمحمد بن الحنفية واقفاً بعرَفات ، وعليه بُردٌ ومطرفُ خزٍّ أصفر[1] .

●

الشيباني عن ابن جُريج ، أن ابن عبّاس كان يرتدي رداءً بألفٍ .

●

أبو حاتم عن الأصمعي ، أن ابن عون اشترى بُرنساً ، فمرت عليه معاذةُ العدوية ، فقالت : مثلك يَلبَسُ هذا ؟

قال : فذكرت ذلك لابن سيرين ، فقال : ألا أخبرتها ان تميماً الداريّ اشترى حُلّةً[2] بألفٍ يصلّي فيها .

●

---

١ المطرف : الرداء . الخز : الحرير .
٢ الحلة : كل ثوب جديد .

وقال معمر : رأيتُ قميصَ ايوب السختيـــاني كاد يَمسُّ الأرضَ ، فسألته عن ذلك ، فقال : إن الشهرةَ كانت فيما مضى في تذييل القميص ، وإنها اليوم في تشميره .

•

وفي موطإ مالك بن أنس رضي الله عنه ، أن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني أنمار ، فبينا أنا نازل تحت شجرة ، إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : هلمّ يا رسول الله إلى الظل . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال جابر : وعندنا صاحب له نجهّزُه يذهبُ يرعى ظَهرنا . قال : فجهزته ، ثم أدبرَ يذهب في الظّهر ، وعليه ثوبان قد أخلقا ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فقال : ما له ثوبان غير هذين ؟

قلت : بلى يا رسول الله ، له ثوبان في العَيبة[1] كسوته اياهما .

قال : فادعُه ، فمُره يلبسهما .

قال : فدعوته فلبسهما ثم ولّى . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما له ، ضرب الله عنقَه ، أليس هذا خيراً له ؟

فسمعه الرجل فقال : في سبيل الله يا رسول الله .

---

١ العيبة : كالصندوق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : في سبيل الله . فقُتل الرجل في سبيل الله .

•

العتبي قال : أصابت الربيع بن زياد الحارثي نُشّابةٌ[1] على جبينه ، فكانت تنتقض عليه في كل عام ، فأتاه عليّ بن أبي طالب عائداً ، فقال : كيف تجدُك يا أبا عبد الرحمن ؟

قال : أجدُني لو كان لا يُذهِب ما بي إلا ذهابُ بصري لتمنّيت ذهابه .

قال له : وما قيمةُ بصرِك عندك ؟

قال : لو كانت لي الدنيا فديتُه بها .

قال : لا جَرم . ليعطينّك اللهُ على قدرِ ذلك إن شاء الله ، إن الله يعطي على قدرِ الألم والمُصيبة ، وعندَه تعالى تَضعيفٌ كثير .

قال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، ألا أشكو إليك عاصمَ ابن زياد ؟

قال : وما له ؟

قال : لَبِس العَباء ، وترك المُلاء ، وغَمّ أهله ، وأَحزَن ولده .

---

[1] النشابة : واحدة النشاب ، السهم .

فقال : عليٌّ عاصماً .

فلما أتاه عبس في وجهه ، وقال : ويلكَ يا عاصم ، أترى اللهَ أباحَ لي اللذاتِ وهو يكره أخذَكَ منها ؟ لأنتَ أهونُ على الله من ذلك ، أوَما سمعتَه يقول : « مَرَجَ البَحْرين يلتقيان . بينهما بَرزخ لا يبغيان . » ثم قال : « يَخرُج منهما اللؤلؤ والمَرجان . » وقوله : « ومن كلٍّ تأكلون لحماً طريّاً وتَستخرجون حِلية تلبسونها . » أما والله إنّ ابتذال نِعَم الله بالفِعال أحبُّ إليه من ابتذالها بالمَقال . وقد سمعته عزّ وجل يقول : « وأما بنِعْمة ربك فحدِّث . » ويقول : « قُل من حَرَّم زينةَ الله التي أخرجَ لعباده والطيّبات من الرزق . » وإن الله عز وجل خاطب المؤمنين بما خاطب به المُرسلين فقال : « يا أيها الذين آمنوا كُلوا من طَيِّبات ما رَزَقناكم . » وقال : « يا أيها الرُّسلُ كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً إنِّي بما تَعملون عليم . »

فقال عاصم : فعلامَ اقتصرتَ أنت يا أمير المؤمنين ؟

قال : على لبس الخَشِن وأكل الخشن .

قال : إن الله افترضَ على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسَهم بالعَوامّ لئلا يتسعَ على الفقير فقره .

قال : فما برحَ حتى لبس المُلاء ونَبذ العباء .

لباس الصوف

قدم حمّاد بن سلمةَ البصرةَ ، فجاء فرقد السّبخي وعليه ثياب صوف ، فقال له حماد : ضَع عنك نصرانيتَك هذه ، فلقد رأيتُنا ننتظرُ إبراهيم ، فخرج علينا وعليه مُعصفرةٌ ، ونحن نرى أن الميَتة قد حلّت له .

•

قال أبو الحسن المدائني : دخل محمد بن واسع على قُتيبة ابن مسلم ، والي خراسان ، وعليه مدرعة[1] صوف ، فقال له قتيبة : ما يدعوك إلى لباس هذه ؟

فسكت عنه .

فقال له قتيبة : أكلّمك فلا تجيبني ؟

قال : أكره أن أقول زهداً فأزكيَ نفسي ، أو أقولَ فَقراً فأشكوَ ربي .

•

وقال ابن السّمّاك لأصحاب الصوف : والله لئن كان لباسكم

---

[1] المدرعة : ضرب من الثياب .

وفقاً لسرائرِكم لقد أحببتم أن يطّلعَ الناس عليها ، ولئن كان
مخالفاً لها لقد هلكتم .

•

وكان القاسم بن محمد يلبَس الخزّ ، وسالم بن عبد الله يلبَس
الصوفَ ، ومقعدهما واحدٌ في مسجد المدينة ، فلا يُنكِر بعضُهما
على بعض شيئاً .

•

وقال محمود الورّاق في أصحاب الصوف :

تَصوّفَ كي يقالَ له أمينٌ ، وما يَعني التصوّفَ والأمانه
ولم يُرِد الإلهَ بـه ، ولكنْ أراد به الطريقَ إلى الخيانـه

التزين والتطيب

دخل رجل على محمد بن المُكندر يسأله عن التزيُّن والتطيّب، فوجده قاعداً على فرش حَشايا مصبَّغة، وجاريةٌ تُغلّفه بالغالية[1]، فقال له: يرحَمُكَ الله، جئتُ أسألك عن شيء فوجدتُك فيه.

قال: على هذا ادركتُ الناس.

•

وفي حديثٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إياكَ والشعثَ[2]، حتى لو لم يجد أحدكم إلا زيتونةً، فليعصرها وليدّهن بها.

•

وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة: ما لي أراكِ شعثاءَ مَرهاءَ، سَلِتاءَ؟

قالت: يا رسولَ الله، أوَلَسنا من العرب؟

قال: بلى، وربما أُنسيتِ العربُ الكلمةَ فيعلّمنيها جبريل. الشعثاء: التي لا تدّهن. والمرهاء: التي لا تكتحل

---

[1] الغالية: نوع من الطيب.
[2] الشعث: تلبد الشعر واغبراره.

والسلتاء : التي لا تختضب .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : ما نلتُ من دُنياكم إلا النساءَ والطيب .

•

وروى مالك عن يحيى بن سعيد أن أبا قتادة الأنصاري قال : يا رسول الله ، إن لي جُمّةً[1] ، فأرجِّلها يا رسول الله ؟
قال : نعم وأكرِمها .
قال : فكان أبو قتادة ربما دهنها في اليوم مرتين .

•

وروى مالك عن زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار أخبره قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فدخل رجل ثائرُ الرأس واللحية ، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن اخرج ، فأصلِح رأسك ولحيتك . ففعل ثم رجع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس هذا خيراً من ان يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ؟

•

وقد تمادحت العرب بحُسن الهيئة وطيب الرائحة ، فقال

---

١ الجمة : مجتمع شعر الرأس .

النابغة :

رقاقُ النّعـال ، طيِّـبٌ حُجزاتُهم ،
يُحَيَّـون بالرّيحانِ يومَ السّباسبِ [1]

يُحييهمُ بيضُ الوَلائـد بينهم ،
وأكسية الإضْريج فوق المَشاجب [2]

يَصونون أجساداً قديماً نَعيمُهـا ،
بخالصـة الأردان ، خُضر المنا كب [3]

•

وقال الفرزدق :

بنو دارمٍ قَومي ، ترى حُجزاتِهم ،
عِتاقاً حَواشيهـا ، رقاقاً نعالُها [4]

---

١ رقاق النعال : ملوك ناعمو العيش . طيب حجزاتهم : أعفـاء محصنون . يوم السباسب : يوم الشعانين ، الاحد الذي قبل احد الفصح .

٢ الاضريج : الخز الأحمر . المشاجب ، الواحد مشجب : ما تعلق عليه الثياب.

٣ الاردان : الاكمام . الخالصة : البيض . وقوله خضر المناكب : اي من اثر السلاح .

٤ الحجزات ، الواحدة حجزة : معقد الازار . العتاق ، الواحـد عتيق : الكريم . الخيار من كل شيء . حواشيها : جوانبها .

يَجرُّون هُدّابَ اليماني ، كأنهم
سُيوفٌ جَلا الأطباعَ عنها صِقالُها[1]

•

وقال طرفة :

أُسْدُ غِيلٍ ، فاذا ما فزعوا ،
غيرُ أنكاسٍ ، ولا هُوجٍ هُذُرْ[2]

فإذا ما شربوها وانتشَوا ،
وَهَبوا كُلَّ أمونٍ وطِمِرّ[3]

ثم راحوا عَبَقُ المسك بهم ،
يُلحِفون الارضَ هُدّابَ الأُزُرْ[4]

•

---

١ الهداب من الثوب : الخيوط التي تبقى في طرفيه من عرضيه دون حاشيتيه . اليماني : أي الثوب اليماني . الاطباع : الصدأ .
٢ الغيل : الشجر الملتف . الانكاس ، الواحد نكس : الجبان . الهوج : الحمقى . الهذر ، الواحد هذور : الكثير الكلام .
٣ الامون : الناقة الموثقة الخلق . الطمر : الفرس الطويل المشرف .
٤ يلحفون الارض : يجرون اذيالهم .

وقال كثيرُ عزة :

أشَمُّ ، من الغـادين في كُلِّ حُلـَّةٍ ،
يَميسون في صِبغ ، من العَصب ، مُتقنِ[1]

لهم أُزُرٌ حُمرُ الحواشي يَطـَونهـا
بأقـدامهم في الحَضْرميِّ المُلـَسَّن

•

وقال آخر :

من النـَّفر الشـُّمِّ ، الذين إذا اعتـَزوا ،
وهابَ الرجالُ حَلقةَ البابِ ، قَعْقعوا

جلا الأذفر الأحوى ، من المِسك ، فَرقَه ،
وطِيبُ الدهان رأسَه ، فهـو أنْزَع[2]

إذا النـَّفرُ السود اليمانُون حـاولوا
له حَوكَ بُردَيه ، أرَقـُّوا ، واوسعـوا

•

وقال آخر[3] :

يُشَبَّهون مُلوكـاً في مجلـَّتهم ،
وطولِ أنضيـةِ الأعناقِ واللـِّممِ[4]

---

١ العصب : ضرب من البرود .
٢ الاذفر : الشديد الرائحة . الاحوى : اراد بـه الاسود . الانزع : من انحسر شعره عن جانبي جبهته .
٣ هو الشمردل اليربوعي .
٤ المجلة : الجلال . الانضية ، الواحد نفى : السهم الذي لم يرش .

إذا غدا المسكُ يجري في مَفارقِهم ،
راحوا ، كأنهمُ مَرضى من الكرمِ

•

وقال آخر في علي بن داود الهاشمي :

أمّا أبوك ، فذاك الجودُ نعرفهُ ،
وأنت أشبهُ خلقِ الله بالجودِ

كأنَّ ديباجتي خدّيه من ذهبٍ ،
إذا تعصّب في اثوابه السُّودِ

•

الرجلة والركوب

سمع عمرو بن العاص رجلًا يقول : الرُّجْلة قطعة من العذاب . فقال له : لم تُحسن ، بل العذاب قِطعة من الرُّجْلة .

•

ولما مشى هارون إلى مكة ومشت معه زُبيدة كانت تُبسَطُ الدرانك[1] أمامَهم وتُطوى خلفهم ، فلما اعيا دعا بخادم له ، فألقى ذراعه عليه وتأوّه ، وقال : والله لركوبُ حمارٍ شموسٍ خير من المشي على الدرانك .

•

قال الشاعر :

وما عن رضاً صار الحمارُ مطيّتي ،
ولكنّ مَن يمشي سيَرضى بما رَكب

•

وقال اعرابي :

يا ليتَ لي نَعلين من جِلد الضَّبُع ،
كُلُّ الحذاء يَحتذي الحافي الوَقِع[2]

---

١ الدرانك : أنواع من البسط ؛ الواحد درنوك .
٢ الوقع : الذي يشتكي لحم قدمه من غلظ الارض والحجارة .

الخيل

قد مضى من قولنا في وصف الخيل وفضائلها في كتاب الحروب ما كفى عن إعادتها هنا .

•

البغال

قال مَسلمة بنُ عبد الملك : ما ركب الناس مثل بغلةٍ طويلةِ العِنان ، قصيرة العِذار ، سَفواء العُرف[1] ، حصّاء الذنب ، سَوطها عنانها ، وهَمُّها أمامَها .

•

وعاتب الفضلُ بن الربيع بعضَ الهاشميين في ركوب بغلة فقال : هذا مركب تطامَنَ عن خُيلاء الفرس ، وارتفع عن ذِلّةِ الحمار ، وخيرُ الأمور أوسطها .

---

١ سفواء العرف : خفيفة شعر العنق .

الحمير

قيل للفَضْل الرقاشيّ : إنك لتؤثر الحَمير على سائر الدوابّ . قال : لأنها أرفق وأوفق . قيل : ولِمَ ذلك ؟ قال : لا تَستبدلُ بالمَكانِ على طُول الزمان ، ثم هي أقل داءً ، وأيسرُ دواءً ، وأخفض مَهوى[1] ، وأسلم صريعاً ، وأقلّ جِماحاً ، وأشهر فارهاً[2] ، وأقلّ نظيراً ، يُزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويُعدُّ مقتصداً وقد أسرف في ثمنه .

•

وقال جريرُ بن عبد الله : لا تركب حماراً ، إن كان حَديداً أتعب يديك ، وإن كان بليداً أتعب رجليك .

---

١ المهوى : مكان السقوط .
٢ الفاره : النشيط الخفيف .

طبائع الانسان وسائر الحيوان

زعم علماءُ الطبّ أن في الجسد من الطبائع الأربع اثني عشر رطلًا : فللدم منها ستة أرطال ، وللمِرّةِ الصفراء والسوداء والبلغم ستةُ أرطال . فإن غلب الدمُ الثلاثَ الطبائعَ تغيّر منه الوجهُ وورِم ، ويخرج ذلك إلى الجُذام[1] . وإن غلبت الثلاثُ الطبائعُ الدمَ أحدث المِدّ[2] . فإذا خاف الإنسان غلبة هذه الطبائع بعضها على بعض فليعدّل جسده بالاقتصاد ، وينقيه بالمشي ، فإن لم يفعل اعتراه ما وصفنا : إما جذام وإما مِد . أسأل الله العافية . ولا بأس بعلاج الجسد في جميع الأزمان إلا من النصف من تمّوز إلى النصف من آب ، فذلك ثلاثون يوماً لا يصلح فيها علاج ، إلا أن ينزل مرض لا بد من مداواته .

•

جعفر بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم قال : الغلام ينبُت كل سنة مقدارَ أربع أصابع من أصابعه .

•

---

١ الجذام : داء كالبرص .

٢ المد : ما يجتمع في الجرح من القيح .

عن وَهب بن مُنبّه ، أنه قرأ في التوراة : إن الله عز وجل حين خلق آدم ركّب جسده من أربعة أشياء ، ثم جعلها وراثة في ولده تنمو في أجسادهم، وينمون عليها إلى يوم القيامة : رطب ، ويابس ، وسُخن ، وبارد .

قال[1] : وذلك أني خلقتُه من تُراب وماء ، وجعلت فيه يبساً ، فيبُوسةُ كل جسدٍ من قِبَل التراب ، ورُطوبته من قبل الماء، وحرارته من قِبَل النّفس ، وبرُودته من قِبَل الرّوح . ثم خَلقت للجسدِ بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع أُخر ، وهي مِلاك الجسد وقِوامه ، لا يقوم الجسد إلا بهن ، ولا تقوم واحدة إلا بالأخرى : المِرّة السوداء ، والمِرّة الصفراء ، والدّم الرطب الحار ، والبَلغم البارد . ثم أسكنتُ بعض هذا الخَلقِ في بعض ، فجعلتُ مسكن اليُبوسة في المِرّة السوداء، ومسكن الرطوبة في الدم ، ومسكن البرودة في البلغم ، ومسكن الحرارة في المِرّة الصفراء ، فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفِطَر الأربع وكانت كل واحدة فيه وفقاً لا تزيد ولا تنقص كَمُلت صحّته ، واعتدلَ نباتُه . وإن زادت واحدة منهنّ غلبتهنّ وقَهرتهنّ ومالت بهن ، ودخل على أخواتها السّقم من ناحيتها بقدر ما زادت . وإن كانت ناقصةً عنهنّ مِلْن بها وعلونها

---

[1] الضمير عائد الى الخالق عزّ وجلّ .

وأدخلن عليها السقم من نواحيهن لقلتها عنهن ، حتى تَضعف عن طاقتهن ، وتعجز عن مقارنتهن .

قال وهب بن مُنبه : وجعل عقله في دِماغه ، وشرَهه في كُلْيته ، وغضبه في كبده ، وصرامته في قَلبه ، ورُعبه في رئته ، وضَحكه في طِحاله ، وحزُنه وفرحه في وجهه ، وجعل فيه ثلثمائة وستين مفْصلًا .

•

الأصمعي : من لم يَخِفّ شعرُه قبل الثلاثين لم يَصلعْ أبداً ، ومن لم يحمِل اللحمَ قبلَ الثلاثين لم يحمله أبداً .

•

النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : كل ابن آدم تأكلهُ الأرضُ إلا عَجْبَ[1] الذنب ، منه خُلق ومنه يركب .

•

وقالت الحكماء : الخَنث يعتري الأعرابَ والأكرادَ والزّنج والمجانين وكل صنف ، إلا الخصيانَ ، فإنه لا يكون خَصيّ مخنثاً .

•

وقالوا : كل ذي ريحٍ مُنتنةٍ وذفرٍ[2] كالتيس وما أشبهه ،

---

١ العجب : اصل الذنب عند رأس العصعص .

٢ الذفر هنا : الرائحة الخبيثة .

إذا خُصي نقص ريحه وذهب صُنانه ، غيرَ الإنسانِ ، فإنه إذا خُصي زاد نتنه واشتد صُنانه ، وخبث عرقه وريحه .

•

وقالوا : وكل شيء من الحيوان يُخصى فان عظمه يَرقّ ، وإذا رقّ عظمُه استرخى لحمه ، إلا الإنسان ، فإنه إذا خُصي طال عظمه وعَرض .

•

وقالوا : الخَصيّ والمرأة لا يَصلعان أبداً ، والخصيّ تطول قَدمه وتعظم .

•

وبلغني أنه كان لمحمد بن الجَهم بِرْذون رَقيق الحافر ، فخصاه فجاد حافرُه وحَسُن .

•

قالوا : والخصيّ تلين معاقدُ عَصبِه وتسترخي ، ويعتريه الاعوجاجُ والفدَع[1] في أصابعه ، وتُسرع دَمعته ، ويجود جِلده ، ويُسرع غضبه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السر .

•

وقالوا : في الغلمان من لا يحتلم[2] أبداً ، وفي النساء من لا

---

١ الفدع : الاعوجاج .

٢ يحتلم : يدرك ويبلغ مبالغ الرجال .

تحيض أبداً ، وذلك عيب .

ومن الناس من لا يسقط شعره ولا يتبدّل سنه ، فمنهم عبد الصمد بن علي ، ذكروا أنه دَخلَ قَبره برواضعه[1] .

•

وقالوا : الضبّ والخِنزير لا يُلقيان شيئاً من أسنانهما ابداً.

•

وقالت الحكماء : إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أديم السماء غيرَ الإنسان ، كرّمه الله بذلك .

•

وقالوا : إن الجنين يغتذي بدم الحيض يُقبل إليه من قبل السرّة ، ولذلك لا تحيض الحوامل إلا القليل . وقد رأينا من الحواملِ مَن تحيض ، وذلك لكثرة الدم .

•

وتقول العرب : حملت المرأة سهواً ، إذا حاضت عليه . وقال الهذلي :

ومُبرّإٍ من كلّ غُبّرِ حَيْضةٍ ،
وفسادِ مُرضعةٍ ، وداءٍ مُغْيلِ[2]

يعني أنها لم ترَ عليه دم حَيض في حملها به .

•

---

١ الرواضع : ما نبت من اسنان الصبي ثم سقط في عهد الرضاع .

٢ الغبّر : البقايا . المغيل : المرأة التي ترضع ولدها وهي حامل .

قالوا : فإذا خرج الولد من الرحِم دفعت الطبيعةُ ذلك الدَّمَ الذي كانَ الجنينُ يغتذيه إلى الثديينِ ، وهما عُضوان باردان عَصبيان يغيّرانه لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

•

وقالوا : يعيشُ الإنسان حيث تعيشُ النارُ ويتلَفُ حيث لا تبقى النار .

•

وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على فتق في بطن الأرض أو مغارة قدموا شمعة في طرفِ قناة ، فإن عاشت بالنار وثبتت دخلوا في طلبها ، وإلا أمسكوا .

•

والعرب تتشاءم ببِكر ولد الرجل ، إذا كان ذكراً .

•

وكان قيس بن زهير أزرق[1] بِكراً ، ابن بِكرين .

•

عبد الله بن حارثُ بن نوفل قال : بِكر البِكرين شيطانٌ مُخلَّد لا يموتُ إلى يوم القيامة . يعني من الشياطين .

•

---

[1] أزرق : اي ازرق العينين وكانوا يتشاءمون بمن كان كذلك .

قالوا : وابنُ المذكّرة مِن النساءِ والمؤنّث[1] من الرجال أخبثُ ما يكون ، لأنه يأخذُ بأخبثِ خصالِ أبيه وخصالِ أمه .

والعرب تذكر أن الغَيْرَى لا تُنجب . وقال عمرو بن معديكرب :

ألستَ تَصيرُ ، إذا ما نُسبـ ـت ، بين المُغارةِ والأحمقِ ؟

•

قالت الحكماء : كل امرأة أو دابّة تُبطىء عن الحَمْل إن واقعها الفحلُ في الأيام التي يجري فيها الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله .

•

وقالت الحكماء : الزّنج شِرارُ الخَلق وأردؤهم تركيباً ، لأن بلادَهم سخُنت جداً ، فأحرَقتهم في الأرحام . وكذلك من برَدت بلادُه فلم تُنضجه الرحِم ، وإنما فَضَلَ أهلُ بابلَ لعلةِ الاعتدال .

وقالوا : الشمسُ هي التي شيَّطت[2] شعر الزنج وقبَضَتْه ، والشعرُ إن أدنيتَه من النار تقبّض ، فإذا زدته شيئاً تفلفل ،

---

[1] المذكرة : التي تشبه الذكور . المؤنث : الذي يشبه النساء .

[2] شيّطت : احرقت .

فإن زدته احترق .

•

وقالوا : أطيب الأمم أفواهاً الزنج وإن لم تستن[١] ، وذلك لرُطوبة أفواهها وكثرةِ الرّيقِ فيها ، وكذلك الكلابُ من سائرِ الحيوان أطيبُها أفواهاً ، لكثرة الماء فيها ، وخُلوف[٢] فمَ الصائم يكون لقلّة الريقِ ، وكذلك الخُلوف في آخر الليل .

•

وقالت الحكماء أيضاً : كل الحيوان اذا أُلقي في الماء سَبح ، إلا الإنسانَ والقردَ والفرسَ الأعسر ، فإن هذه تغرق ولا تسبح .

•

قالوا : وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الحُضْر[٣] إلا إذا أخـذ على يساره ، ولذلك قالوا : فمال على وحشيّه ، وأنحى على شؤمى يديه[٤] .

•

---

١ تستن : تستعمل السواك .
٢ الخلوف : تغير رائحة الفم .
٣ الحضر : الركض .
٤ وحشيه : جانبه الايسر . شؤمى يديه : يده اليسرى .

وقالوا : كُلُّ ذي عين من ذوات الاربع : السباع والبهائم الوحشية والإنسية ، فإنما الأشفار منهـا بجفنِها الأعلى ، إلا الإنسان ، فإن الأشفار ، يعني الهُدْبَ ، بجفنيـه معاً الأعلى والأسفل .

•

الليث بن سعـد عن ابن عجلان ان امرأة حملت ، فأقامت حاملًا خمس سنـين ثم ولدت ، وحملت مرة أخرى فأقامت حاملًا ثلاث سنين ثم ولدت .

•

ووُلد الضحاك بن مزاحم ، وهو ابن ثلاثـة عشر شهراً . وقال جرير : وُلد الضحاك لسنتين ، وشعبة لسنتين .

ما نقص من خلقة الحيوان

حدّث أبو حاتم عن أبي عُبيدة ، والأصمعيّ ، وأبو زيد قالوا : الفرس لا طِحال له ، والبعير لا مرارة له ، والظليم لا مُخّ له . وقال زهير :

مِن الظلمانِ جؤجؤه هواء[1]

وكذلك طير الماء . والحيتان لا ألسنة لها ولا أدمغة لها ، وصَفْن[2] البعير لا بيضةَ فيه ، والسمكة لا رِئة لها ولا تتنفّس ، وكل ذي رئة يتنفس .

---

١ الجؤجؤ : صدر الطائر .
٢ الصفن : وعاء الخصية .

المشتركات من الحيوان

الراعبيّ بين الورشان والحمامة . والجوامز من الإبل ، بين العِراب والفوالج[1] . والحمير الأخدرية ، من الأخدر ، فرس كان لأردشير كسرى ، توحش وحمى عانات[2] حمير فضرب فيها . وأعمارها كأعمار الخيل . والزّرافة بين الناقة من نوق الحبش وبين البقرة الوحشية وبين الضبعان ، واسمها « اشتر كاو بلنك[3] » ، وذلك أن الضّبعان ببلاد الحبشة يسفد[4] الناقة فتجيء بولد خَلْقُه بين خلق الناقة والضبعان ، فإن كان ولد تلك الناقة ذكراً عرضَ للمهاة فألقحها زَرافة . وسميت زَرافة لأنها جماعة وهي واحدة ، كأنها جمل وبقرة وضَبُع . والزَرافة في كلام العرب : الجماعة .

•

وقال صاحب المنطق : الكلاب تسفدُها الذئاب في أرض سلوقيَة ، فتكون منها الكلاب السلوقيّة .

•

---

١ العراب : الكرائم السالمة من الهجنة . الفوالج ، الواحد فالج : الجمل ذو السنامين .

٢ العانات ، الواحدة عانة : القطيع من الحمر .

٣ هذا بالفارسية . اشتر : بعير . كاو : بقرة . بلنك : نمر . أما الضبع فهو بالفارسية كفتار ، عن كتاب الحيوان .

٤ يسفد : يعلو .

الانعام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خلق الله دابة أكرمَ من النعجة وذلك أنه ستر حَياها دون حيا غيرها .

•

إهاب بن عمير قال : كان لنا جمل يَعرف فسجَ[1] الحامِل، قبل أن يشمّها .

•

وقيل لابنة الخُس : ما تقولين في مائة من المعز ؟ قالت : قِنًى . قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنى . قيل : فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنى . والعرب تضرب المثل في الصرد[2] بالمعز فتقول : أصردُ من عَنْز جَرباء .

•

سئل دغفل العلاّمة عن بني مخزوم ، فقال : معزى مطيرة ، عليها قشعريرة ، إلا بني المغيرة ، فإن فيهم تشادق الكلام ،

---

١ فسجت الناقة : حملت فزمت بأنفها واستكبرت .

٢ الصرد : الهزال .

ومصاهرة الكرام .

•

ومما تقوله الأعراب على ألسنة البهائم ، تقول المِعزى : الاست جَهْوى ، والذنَب ألوى ، والجلد زِقاق ، والشعر رِفاق[1] .

•

والضأن[2] تضع مرة في السنة وتُفرِد ولا تُتئِم ، والمَعَز قد تلدُ مرتين في السنة وتضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنماءُ والعددُ والبركةُ في الضأن . ونحو هذا الخنازير ، ربما تضع الأنثى عشرين خنزيراً ، لا نماء فيها ولا بركة .

•

ويقال : الجواميسُ ضأن البقر ، والبُخت[3] ضأنُ الإبل ، والبراذين ضأن الخيل ، والجُرذان ضأنُ الفأر ، والدُّلدل ضأنُ القنافذ ، والنمل ضأنُ الذَّرّ .

•

---

١ جهوى : مكشوفة . ألوى : ملتوٍ . زقاق ، الواحد زق : السقاء . الرفاق: حبل يشد في عنق البعير إلى رسغه .

٢ الضأن : اسم جنس لخلاف الماعز من الغنم .

٣ البخت : الابل الخراسانية .

وتقول الأطباء في لحم المَعز : إنه يورث الهمّ ، ويحرك السوداء ، ويورث النسيان ، ويخبّل الأولاد ، ويفسد الدم . ولحم الضأن يُضِرّ بمن يُصرَع من المِرّة إضراراً شديداً ، حتى يصرعهم في غير اوان الصَرع : الأهلّة وأنصاف الشهور . وهذان الوقتان هما وقت مدّ البحر وزيادة الماء ، ولزيادة القمر إلى أن يصير بدراً اثرٌ بيّن في زيادة الدماغ والدم وجميع الرطوبات .

قال الشاعر[1] :

كأنّ القومَ عُشّوا لحمَ ضأنٍ ،
فهم نَعِجون ، قد مالت ُطلاهم[2]

•

وفي الماعز أيضاً أنها تَرضعُ من خِلفِها وهي محفّلةٌ حتى تأتي على كل ما في ضرعها .

وقال ابن أحمر :

إنّي وجدتُ بني أعيا وجامِلهم ،
كالعَنز تَعطف رَوقيها ، فتَحتفل[3]

•

---

١ هو ذو الرمة .
٢ النعج : الذي أكل لحم الضأن فثقل على قلبه . الطلى : الأعناق .
٣ الجامل : القطيع من الابل مع رعاته. روقيها : قرنيها . تحتفل : تمتلىء باللبن .

وإذا رعت الماعزة في فَضل نبت ما تأكله الضائنة ولم ينبت ما تأكله الماعزة ، لأن الضائنة تقرض بأسنانها والماعزة تقلعه وتجذبه من أصله . وإذا حملت الماعزة أنزلت اللبن في أول الحمل إلى الضرع ، والضائنة لا تنزل اللبن إلا عند الولادة ، ولذلك تقول العرب : رمَّدت المِعزى فربِّق ربِّق[1] ، ورمدت الضأن فربق ربق .

•

وذكورُ كلِّ شيء أحسنُ من إناثه إلا التيوسَ ، فإن الصفايا أحسن منها ، وأصوات ذكور كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر ، فإنها أجهر أصواتاً من ذكورها .

•

وقرأت في كتاب للروم : إذا أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة ، فانظر إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه .

وقرأت فيه : إن الإبل تتحامى أمهاتِها فلا تسفدها .

•

وقالوا : كل ثور أفطس ، وكل بعير أعلم ، وكل ذباب أقرح[2] .

•

---

١ رمدت : استبان حملها وعظم ضرعها . التربيق : تهيئة الأرباق ، وهي الحبال.
٢ الأعلم : المشقوق الشفة العليا . الأقرح : الذي في وجهه قرحة.

وقال بعض القُصّاص : مما فضل الله بـه الكَبش َ أن جعله مستورَ العورة من قُبل ومن دُبر ، ومما أهان به التيس أن جعله مهتوك الستر ، مكشوف القبل والدبر .

•

وفي مناجاة عزير : اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة ، ومن الطير الحمامة ، ومن النبات الحبة ، ومن البيوت مكة وإيلياء ، ومن إيلياء بيت المقدس .

•

وفي الحـديث : « إن الغنم إذا أقبلت أقبلت وإذا أدبرت أقبلت ، والإبل إذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ، ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم[1] . »

•

والأقِط[2] قد يكون من المعزى . قال امرؤ القيس :

لنـا غَنَم نسوّقُهـا غِزار ،
كأنّ قُـرون جِلّتها عصيّ[3]

فتملأ بيتَنـا أقِطاً وسمنـاً ،
وحَسبُكَ من غِنـى شِبَعٌ وريّ

---

١ الأشأم : أي الشمال . وذلك أنها تحلب وتركب من هذا الجانب الذي يتشاءم العرب به .

٢ الأقط : الجبن .

٣ الجلة : الابل المسنة .

النعام

قالوا في الظليم : إن الصيف إذا اقبل وابتدأ البُسر[1] بالحمرة ابتدأ لونُ وظيفيه[2] بالحمرة ، فلا يزالان يتلوّنان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهي حُمرة البُسرة . لذلك قيل له خاضب ، وللنعام خواضب .

وفي الظليم أن كل ذي رجلين، إذا انكسرت إحدى رجليه نهض على الأخرى ، والظليم إذا انكسرت إحدى رجليه جثم[3]، ولذا قال الشاعر في نفسه وأخيه :

إذا انكسرت رجلُ النعامة لم تَجد ،
على أختها ، نَهضاً ، ولا دونها صبرا

قالوا : وعلّة ذلك أنه لا مخّ في عَظمه .

وكل عظم كسر يجبر إلا عظماً لا مخ فيه .

والظليم يغتذي المَدر[4] والصخر ، فتذيبه قانصته بطبعها

---

١ البسر : التمر اذا لون ولم ينضج .

٢ الوظيف : مستدق الذراع .

٣ جثم : تلبد بالارض .

٤ المدر : الطين العلك لا يخالطه رمل .

حتى يصير كالماء . وفي النعامة أنها أخذت من البعير المنسِم والوظيف والعنق والخُدامة[1] ، ومن الطير الريش والجناحين والمناقير ، فهي لا بعير ولا طائر .

•

وقال الأحيمر السعدي : كنت ممن خلعني قومي وأطَل السلطان دمي[2] ، وهربت وترددت في البوادي حتى ظننت أني قد جزت نخل وبارِ أو قريباً من ذلك، وإني كنت أرى النوى في رجيع[3] الذئاب ، وكنت أغشى الذئاب وغيرها من بهائم الوحش ، ولا تنفر مني لأنها لم ترَ أحداً قبلي ، وكنت أمشي إلى الظَبيِ السمين فآخذه ، إلا النعام فإني لم أره قط إلا نافراً فزعاً .

---

١ المنسم : خف البعير . الخدامة : لعله اراد الخدمة ، وهي في الساق عند الرسغ بياض في سواد .

٢ خلعني قومي : تبرأوا مني . أطل دمي : أهدره .

٣ رجيع الذئاب : قذرها .

الطير

بلغني عن مكحول أنه قال : كان من دعاء داود النبي عليه السلام : يا رازق النعَّاب في عشه .

وذلك أن الغراب إذا فقس عن فراخه خرجت بيضاء فإذا رآها كذلك نفر عنها ، وتفتح أفواهَها فيرسل الله ذُباباً يدخل في أفواهها فيكون ذلك غذاءها حتى تسودّ ، فإذا اسودَّت عادَ الغراب إليها فغذّاها ودفع الله الذباب عنها .

•

قال الرياشي : ليس شيء تغيب أذناه من جميع الحيوان إلا وهو يبيض ، وليس شيء تظهر أذناه إلا وهو يلد .

قال : هذا يُروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

•

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الطير : الصُرَد ، والهُدهد[1] ، والذَّرة ، والنَحلة .

•

---

[1] الصرد : طائر ضخم الرأس ابيض البطن اخضر الظهر يصطاد صغار العصافير. الهدهد : طائر ذو الوان كثيرة .

وقالوا : الطير ثلاثة أضرب : بهائم الطيرِ وهو ما لقط الحبوب والبزور ، وسباعُ الطير وهي التي تتغــذى باللحم ، ومشترك وهو مثل العصفور يشارك بهائم الطير ، فإنه ليس بذي مِخلَب ولا مِنسر[1] . وإذا سقط الطير على عود قدم أصابعَـه الثلاثـة وأخَّر الدابِرَة[2] . وسباعُ الطير تقدم إصبعين وتؤخر إصبعين . ويشارك سباع الطير فإنه يُلقم فراخَه ولا يزقُّها ، وإنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل .

وقالوا : العصفور شديد الوطء والفيل خفيف الوطء .

•

وقال صاحب الفلاحة : العُقابُ والحِدأة[3] يتبدلان فيصير العُقاب حِدأةً والحِدأةُ عُقاباً ، والأرانب تتبدل فتصير الأنثى ذكراً والذكر أنثى .

•

وذكر الغربان لا يحضُــن ، وكذلك ذكر الاوز وذكر الدجاج .

•

---

١ المخلب : الظفر خصوصاً من السباع . المنسر : منقار الطير الجارح .
٢ دابرة الطائر : هي كالاصبع في باطن رجله .
٣ الحدأة : طائر من الجوارح .

وقال كعب الأحبار : ما ذهب طائرٌ في السماء قط أكثر من اثني عشر ميلاً .

•

ومن حديث سفيان الثوري عن أنس بن مالك قال : عمرُ الذُباب أربعون يوماً ، والبعوضة ثلاثة أيام ، والبرغوث خمسة أيام .

قال : والحمام تُعجَبُ بالكَمُّونِ وتألف الموضِعَ الذي يكون فيه ، وكذلك العدَس ، ولا سيما إذا نُقِع في عصيرِ حُلو . ومما يصلحن عليه ويكثرن أن تُدخَّن بيوتُهن بالعِلك . وأيمنُ مواضِعها وأصلحُها أن يُبنى لها بيتٌ على أساطينِ[1] خشبٍ ، ويُجعل فيه ثلاثُ كُوى : كُوّةٌ في سَمْك البيت[2] ، وكُوّة من قِبَل المَغرِب ، وباب من قِبَل الجنوب .

•

قال : والسَّذاب[3] إذا ألقي في اللبن تحامَته السنانيرُ البرية .

•

ابن الكَلبي قال : أسماءُ نِساء بني نوح صلى الله عليه وسلم ،

---

١ الاساطين ، الواحدة اسطوانة : العمود .
٢ سمك البيت : سقفه .
٣ السذاب : نبات كالصعتر رائحته كريهة .

إذا كُتِبن في زوايا بيتِ البُرج[1] سلِمت الفراخ ونمت وسلمت من الآفات .

قال هشام[2] : فجربته أنا وغيري فوجدناه كما قال ، واسم امرأة سام بن نوح محلَت محَم ، واسم امرأة حام نَف نَسا ، واسم امرأة يافث فالر .

•

والطير الذي يخرج من وكره بالليل البومة ، والصَّدى ، والهامة ، والضُّوَع[3] ، والوطواط ، والخفاش[4] ، وغراب الليل .

•

قالوا : وإذا خرج فرخ الحمامة نفخ أبواه في حلقه لتتسع الحوصلة بعد التحامها وتنفتق ، فإذا اتسعت زقّاه عند ذلك اللعاب ثم زقاه بعد ذلك الحب .

•

قال المُثنى بن زهير : لم أر شيئاً قطُّ في رجل أو امرأة إلا رأيته في الحمام ، رأيت حمامة لا تريد إلا ذكَرَها ، وذكراً لا

---

١ البرج : اي برج الحمام .

٢ هشام بن محمد .

٣ الصدى : نوع من البوم عظيم الرأس . الهامة : نوع من البوم الصغير تألف الخراب . الضوع : ذكر البوم او طائر من طيور الليل .

٤ الخفاش : من نوع الوطواط .

يريد إلا أنثاه ، إلا أن يَهلك أحدهما أو يُفقد ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكور ، ورأيت حمامة لا تُقمَط[1] إلا بعد شدة الطلب ، ورأيت حمامة تَزِيف[2] للذكر ساعةَ يريدُها ، ورأيت حمامة تَقمُطُ الذكر ، ورأيت ذكراً يقمط كل ما لقي ولا يزاوج ، ورأيت ذكراً له أنثيان يحضن مع هذه وهذه .

•

قالوا : ومن عجائب الخفاش أنه لا يبصر في الضوء الشديدِ ولا في الظلمة الشديدة ، وتحبل أُنثاه وتلد ، وتحيض ، وتُرضعُ ، وتطير بلا ريش ، وتحمِلُ ولدَها تحت جَناحها ، وربما قبضت عليه بفيها ، وربما ولدت وهي تطير ، ولها أذنان وأسنان ، وجناحان متصلان برجليها .

•

قالوا : والخطاف يتبع الربيعَ حيثُ كان ، وتُقلَع إحدى عينيه وتَرجع .

---

[1] تقمط : تسفد .

[2] تزيف : تتبختر في مشيها وتمايل .

البيض

قالوا : والبيض يكون من أربعة أشياء : منه ما يتكون من السِّفاد ، ومنه ما يتكون من التُراب ، ومنه ما يتكون من نسيم ريح يصِل إلى أرحامها ، وهو شيء يعتري الحجَل وما شاكلها في الطبيعة ، فربما كانت الأنثى على قُبالةِ الريح التي تهبُّ في بعض الزمان فتحتشي لذلك بيضاً .

•

وكذلك النخلةُ التي تكون تحت الفُحَّال[1] وتحت ريحهِ ، فتَلقَح بتلك الريحِ وتكتفي بذلك .

•

والدجاجةُ ، إذا هَرِمَت لم يكن لبيضها مُحٌّ ، واذا لم يكن لها مح لم يكن لبيضها فَرخ ، لأن الفَرخ يُخلَق من بياضِ البيضِ وغذاؤه الصُّفرة .

---

[1] الفحال : ذكر النخل .

السباع

يقال : إنه ليس في السباع أطيبُ افواهاً من الكلابِ ، ولا في الوحش أطيبُ أفواهاً من الظباء . ويقال : ليس أشدُّ بخراً من الأسدِ والصقرِ ، ولا في السباع أسبح من كلب .

والأسد لا يأكل الحارّ ولا الحامض ولا يدنو من النار ، وكذلك أكثر السباع .

وتقول الروم : الأسدُ يُذعَرُ لصوتِ الذئب ولا يدنو من المرأةِ الطامث[1] . والأسدُ إذا بال شَغَر[2] كما يشغَرُ الكلبُ ، وهو قليل الشُرب ، ونجوُه[3] كنجوِ الكلب ، ودواء عضته كدواء عضة الكلب .

•

قالوا : والعيون التي تضيء بالليل : عيون الأسد والنمور والأفاعي والسنانير .

•

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجِعُ في قيئها : الاسد والكلب والسنور .

•

---

١ الطامث : الحائض .

٢ شغر : رفع احدى رجليه فبال .

٣ النجو : الغائط .

وقالوا : أيام حمل الكلبة ستون يومـاً ، فإن وضعت قبل ذلك لم تكد أولادها تعيش . واناث الكلاب تحيض كل سبعة ايام يوماً ، وعلامة ذلك أن يَرِمَ ثفر الكلبة[1] ، ولا تريد السفاد في ذلك الوقت .

•

وذكور السلوقيـة تعيش عشرين سنة وتعيش اناثها اثنتي عشرة سنة .

وليس يُلقي الكلب من اسنانه إلا النابين .

•

وقالوا : في طبع الذئب محبة الدم ، ويبلغ بطبعه أن يرى ذئباً مثله قد دَمي ، فيثب عليه فيمزقه .

قال الشاعر[2] :

وكُنْتَ كذئب السّوء لمّا رأى دماً
بصاحبه ، يوماً ، أحال على الدّمِ

•

ويقولون : ربما ينام الذئب بإحدى عينيه ويفتح الأخرى ، قال حُميد بن ثور :

---

١ ثفر الكلبة : حياها .

٢ هو الفرزدق .

ينام بإحدى مُقلتيه ، ويتّقي
بأخرى الأعادي ، فهو يَقْظان نائم

•

قالوا : والذئب أشدّ السّباع مُطالبةً ، وإذا عجز عوى عُواءَ استغاثةٍ ، فتسامعت به الذئاب ، فأقبلت حتى تجتمعَ على الإنسان أو غيرِه فتأكله ، وليس في السباع مَن يفعل ذلك غيرها .

•

والأرانب تنام مفتوحة العين ، وتحيض .

•

وليس لشيءٍ من ذكور الحيوان ثَدي في صدره إلا الإنسان والفيل .

ولسان الفيل مقلوب على طرفه ، داخل .

وزعمت الهند أن نابي الفيل قَرناه ، يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحنَك . ويخرجان مُنكسين .

وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعمائة سنة .

وحدثني شيخ لنا عن الزيادي قال : رأيت فيلاً أيام أبي جعفر قيل إنه سَجدَ لسابورَ ذي الأكتافِ ، ولأبي جعفر .

والفيلة تضع في سبع سنين .

الحيوان الذي لا يصلح الا بأمير*

الناس ، والفأر ، والغرانيق ، والكراكيّ[1] ، والنّحل ، والحشرات .

•

قتادة عن ابن عمر قال : الفأرة يهوديّة ، ولو سقيتها لبن الابل ما شربته . والفأر أصناف : منها الزّباب ، وهو أصم لا يسمع ؛ والخُلد ، وهو أعمى .

وتقول العرب : هو أسود من زَبابة . وفأرة البيش ، والبيش سم قاتل ، يقال : هو قرون السنبل ، وله فأرة تغتذيه لا تأكل غيره . وفأرة المسك من غير هذا . وفأرة الإبل : أرواحها إذا عرقت .

•

قالوا : والأفعى إذا نفثتَ في فيها حُمّاضَ الأترجّ[2] وأطبقت لَحْيَيْها[3] الأعلى على الأسفل لم تقتل بعضتها أياماً .

•

---

* يريد الحيوان الذي يكون لكل جماعة منه رأس او امير يقوده ، يورده ويُصدره .

١ الغرانيق، الواحد غرنوق. والكراكي، الواحد كركي: كلاهما طائر مائي.

٢ الاترج : الكبّاد ، وحماضه : ما في جوفه داخل اللب .

٣ اللحي : عظم الحنك الذي عليه الاسنان .

قالوا : الثومُ والملحُ وبعرُ الغنم نافعٌ جداً إذا وُضع على موضع لسعة الحية ، والحيات تُقتل بريح السَذاب والشيح[1] ، وتُعجَبُ باللُّفّاح[2] والبَسْباس[3] ، والبِطّيخ والخردل والحُرْف[4] ، واللبن والخمر .

•

وليس في الأرض حيوان أصبر على الجوع من الحيّة ، ثم الضبّ بعدها. وإذا هرمت الحية صغر بدنها ، وقنعت بالنسيم.

•

قالوا : وكل شيء يأكلُ فهو يحرك فكّه الأسفل ، ما عدا التمساحَ فإنه يحرّك فكّه الأعلى .

•

وبمصر سمكة يقال لها الرعّادةُ ، من اصطادها لم تزل يدُه ترعَدُ ما دامت في شبكته .

•

والجُعَلُ[5] إذا دفنتَه في الورد سكنت حركتُه حتى تحسبَه

---

١ الشيح ، الواحدة شيحة : نبات طيب الرائحة .

٢ اللفاح : نبت له ثمر في حجم التفاح .

٣ البسباس ، الواحدة بسباسة : شجرة تأكلها الناس والماشية تذكرك ريح الجزر وطعمه اذا اكلتها .

٤ الحرف : حب الرشاد .

٥ الجعل : نوع من الخنافس كالزيز .

ميتاً ، فإذا أدنيتَه من الرَوْثِ[1] تحرّك ورجعت نفسه .

●

والبعير إذا ابتلع في علَفه خُنفساء[2] قتلته إذا وصلت إلى جوفه حيّة .

●

والضب يُذبَح ثم يمكثُ ليلة، ثم يقرب من النار فيتحرّك.

●

والأفعى تُذبَح فتبقى أيّاماً تتحرّك ، وإذا وطئها أحد نَهشَتْه ، ويُقطع ثلثُها الأسفلُ فتعيش ، وينبت ذلك المقطوع.

●

وسامّ أبرص لا يدخل بيتاً فيه زَعفران .

●

ومَن عضه كَلب كَلِب احتاج أن يستر وَجهَه من الذباب لئلا تَسقُطَ عليه .

●

وخرطوم الذُّباب يده ، ومنه يغنّي ، وفيه يجري الصوت كما يُجري الزامرُ الصوتَ في القصبة بالنّفخ .

●

---

1 الروث : سرجين الفرس وكل ذي حافر .

2 الخنفساء : دويّبة اصغر من الجعل كريهة الرائحة .

والسُّلَحفاةُ ، إذا أكلت أفعى أكلت سَعتراً جبلياً .

•

وابن عِرس إذا قاتل الحيةَ أكل السَّذابَ .

والكلاب إذا كان في أجوافها داء أكلت سُنبلَ القمح .

والإيَّل[1] إذا نهشته الحيةُ أكل السراطين .

قال ابن ماسويه : فلذلك يُظن أن السراطين صالحة لمن نهشَتْه الحية .

•

قال صاحب المنطق : الحية إذا اشتكت كبدَها من رفع الأرانب والثعالب في الهواء تعالجت بأكل الأكباد حتى تبرأ .

•

وبعضُ الناس يعملون من الأوزاغ[2] سُمّاً أنفذ من البِيش[3] ومن ريق الأفاعي .

•

واذا زُرعَ في نواحي الزرع خردل تجنّبته دَبى[4] الجَراد ،

---

١ الايل : الذكر من الأوعال .

٢ الاوزاغ ، الواحد وزغة : نوع من الزحّافات كالحردون .

٣ البيش : نبات فيه سم قاتل .

٤ الدبى : اصغر الجراد .

وإذا أخذ المرْداسَنج[1] وخُلِطَ بعجينِ الدّقيق ثم طُرحَ للفأرِ وأكلَ منه مات ، وكذلك بُرادة الحديد .

•

وإذا أُخذ الأفيون والشّونيز[2] والبازرند وقرن الإيّل وبابونج وظِلف من أظلاف العنز ، فخُلط ذلك جميعاً ، ثم يُدق ويُنخل نخلاً جيداً ويُعجن بخل ثقيف[3] ، ثم يُقطع قطعاً ، فيدخن قِطعة منه ، هَربت الحيّات والهوامّ والنمل والعقارب من ريحه . والبعوض تهرُب من دُخان الكِبريت والعِلْك .

•

وقالت الحكماء : لحم ابن عِرس نافع من الصّرع ، ولحم القنفذ نافع من الجذام والسل والشنج ووجع الكلى ، يجفّف ويُشوى ويُطعمه العليل مَطبوخاً ومشويّاً ويضمّد به الشّنج .

•

وعين الأفعى وعين الجراد لا تدوران .

•

وليس ينسج من العناكب إلاّ الأنثى ، وهي الخدرنق .

---

١ المرداسنج : لعله المردارسنج الذي تسميه العامة مرسنك ، وهو الرصاص المحروق .

٢ الشونيز : الحبة السوداء .

٣ الثقيف : الحاذق الحامض جداً .

وولد العنكب ينسج ساعة يولد .

•

والقمل يتخلق في الرؤوس على لون الشعر ، إن كان أسود أو أبيض أو مخضوباً .

•

وأم حبين[1] لا تقيم بمكان تكون فيه السُّرْفة ، وهي دويبة يُضرب بها المثل في الصنعة ، فيقال : أصنع من سرفة .

•

قال أبو بكر المهجري : ما من شيء يَضر إلا وفيه منفعة .

•

وقيل لبعض الأطباء : إن فلاناً يقول إنما أنا مثلُ العقرب أضُر ولا أنفع . فقال : ما أقل علمه بها ، إنها لتنفع إذا شُقّ بطنها ووُضعت على مكان اللسعة ، وقد تجعل في جوف فخّار مسدود الرأس مُطيَّن الجوانب ثم يوضع الفخار في تنّور ، فإذا صارت العقرب رماداً سُقي من ذلك الرماد مثل نصف دانق من به حصاة من غير أن يضر سائر الأعضاء . وقد تلسع مَن به حُمّى عتيقة فتقلع عنه ، وقد تلسع المَفلوج فيذهب عنه الفالج . وقد تُلقى العقرب في الدهن وتُترك فيه حتى يأخذ الدهن منها ويجتذب قواها فيكون ذلك الدهن مُفرِقاً

---

١ أم حبين : دابّة تشبه سام ابرص .

للأورام الغليظة .

•

وقال المأمون : قلت لبختيشوع وسَلمويه وابن ماسويه : إن الذباب إذا دُلك على موضع لسعة الزنبور سكن ألمُها ، فلسعني زنبور ، فحككت على موضع لسعته عشرين ذبابة ، فما سكن إلا في قدر الحين الذي يسكن فيه من غير علاج ، فلم يَبق في يدي منهم ، إلا أن قالوا : كان هذا الزُّنبور حتفاً قاضياً ، ولولا هذا العلاج له لقتلك .

•

وقال محمد بن الجَهم : لا تَتهاونوا بكثير مما ترون من علاج العجائز ، فإن كثيراً منه وقع إليهن من قدماء الأطباء ، كالذّباب يلقى في الإثمد فيسحق معه ، ليزيد ذلك في نور البصر ، ويشدّ مراكز شعر الأجفان في حافات الجفون .

•

قالوا : وللسع الافاعي والحيّات ينفع ورق الآس الرّطْب ، يُعصر ويُسقى من مائه قَدر نصف رطل .

مصايد الطير

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يحتال للطير والدّجاج حتى يتحيّرن ويُغشى عليهن فيصيدَهن عمد إلى الحلتيت[١] ، فدافَه[٢] بالماء ثم جعل في ذلك شيئاً من عسل ، ثم نقَعَ فيه بُرّاً[٣] يوماً وليلة ، ثم ألقى ذلك البرّ إلى الطير فإذا لقطه تحيّر وغُشي عليه ، فلا يقدر على الطيران إلا أن يُسقى لبناً خالطه سمن .

•

قال : وإن عُمِد إلى طحين بُرّ غيرِ منخول فعُجن بِجير[٤] ثم طُرح للطير والحَجل فأكلا منه ، تحيرت وأُخذت .

•

ومما يُصاد به الكراكيّ وغيرها من الطير أن يوضع لهن في مواقعهن إناء فيه خمر ويُجعل فيه خَربق أسود[٥] ويُنقع فيه

---

١ الحلتيت : صمغ نبات يقال له الانجدان .

٢ دافه : خلطه .

٣ البرّ : القمح .

٤ الجير : الجص .

٥ الخربق : نبت ورقه كلسان الحمل أبيض ، والافراط في تناوله مهلك .

شعير ، ثم يُلقى لهن ، فإذا أكلن منه أخذهن الصائد كيف شاء.

•

وقال غيره : تُصاد العصافير بأيسر حيلة ، تؤخذ سلّة في صورة المِحبرة المنكوسة ، ويجعل في جوفها عُصفور ، فتنقضُّ عليه العصافير وتدخل عليه ، فما دخل لم يقدر على الخروج ، فيصيد الرجل منها من يومه ما شاء وهو وادع[1] .

•

وقال : ويُصاد طير الماء الساكن بالقرعة ، وذلك أن تأخذَ قرعة يابسة صحيحة فترمي بها في الماء فإنها تتحرك بتحرُّك الماء فإذا أبصرها الطير تحرك وفزع ، فإذا كثر ذلك عليه أنس حتى ربما سقط عليها ، ثم تأخذَ قرعةً مثلها فتقطعَ رأسها ، ويُفتق فيها موضعُ عينين ثم يُدخِلُ الصائِدُ رأسَه فيها ، ويدخل الماء ويمشي رويداً ، وكلما دنا من الطائر مد يده تحت الماء حتى يقبِضَ على رجليه ويغمِسَ يدَه به تحت الماء ويكسِر جناحيه، ويُخليه فيَبقى طافياً على الماء يَسبحُ برجلَيه ، ولا يُطيق الطيران ، وسائر الطير لا تنكرُ انغماسَه في الماء ، فإذا فرغ من صيدِ ما أراد بالقرعة لقطها وحملها .

---

١ وادع : ساكن .

مصايد السباع

السّباع العاديَة تصاد بالزُّبى[1] والمُغَوّيَات[2] ، وهي آبار تُحفر في أنشاز الأرض ، ولذلك يقال : قد بلغ السيل الزُّبى .

•

قال صاحب الفلاحة : ومما تُصاد به السباع العادية أن يُؤخذ سمك من سمك البحر الكبار السمان فيُقطع قِطعاً ثم تُشدخُ وتُكتّلُ كِتلاً ، ثم تؤجّج نار في غائط[3] من الأرض تَقرب منه السباع ، ثم تُقذف تلك الكتل فيها واحدة بعد أخرى حتى ينتشر دخان تلك النار ، وقُتار[4] تلك الكتل في تلك الأرض ، ثم يُطرح حول تلك النار قِطع من لحم قد جعل فيه الخربق[5] الأسود والأفيون ، وتكون تلك النار في موضع لا تُرى فيه حتى تقبل السباعُ لريح القُتارِ ، وهي آمنة ، فتأكل من قطع ذلك اللحم ، ويخرج عليها ، فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا .

---

١ الزبى ، الواحدة زبية : حفرة لصيد السباع .

٢ المغواة : حفرة كالزبية تحتفر للذئب ويجعل فيها جدي اذا نظر الذئب اليه سقط عليه يريده فيصاد .

٣ الغائط : المطمئن من الارض .

٤ القتار : الدخان من المطبوخ .

٥ الخربق : نبات ورقه كلسان الثور ، ابيض واسود .

تفاضل البلدان

الأصمعي يرفعه إلى قَتادة قال :

الدنيا كلُّها أربعة وعشرون ألف فرسخ ، فبلد السودان منها اثنا عشر الف فرسخ ، وبلد الروم ثمانية آلاف فرسخ ، وبلد الفرس ثلاثة آلاف فرسَخ ، وبلد العرب ألف .

•

الأصمعيّ قال : جزيرة العرب ما بين نجران إلى العُذيب ، وقال غيره : أرض العرب ما بين بحر القُلزم وبحر الهند .

•

قالوا : وسواد البصرة : الأهواز ، وفارس . وسواد الكوفة : كسكر إلى الزاب إلى عمل حلوان إلى القادسية ، وهذه كلها من عمل العراق .

•

وعمل العراق من هَيت إلى الصين ، والهند ، والسند ، ثم كذلك إلى الري ، وخراسان كلها إلى بلد الديلم ، والجبال . وأصفهان سُرَّة العراق ، وافتتحها أبو موسى الأشعري .

والجزيرة ليست من عمل العراق. وهي ما بين الدجلة والفرات والموصل من الجزيرة . ومكة والمدينة ومصر ليست من عمل العراق .

•

الأصمعي قال : البصرة كلها عثمانية، والكوفة كلها علوية[1]، والشام كلها أموية ، والجزيرة خارجية ، والحجاز سنّية . وإنما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل ، إذ قاموا مع عائشة وطلحة والزبير فقتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

•

وقيل لرجل من أهل البصرة : أتحب عليّاً ؟ قال : كيف أحب رجلًا قتل من قومي من لدُن كانت الشمس هكذا إلى أن صارت هكذا ثلاثين ألفاً !

•

والكوفة علويّة ؛ لأنها وطن علي رضي الله عنه وداره . والشام أموية ؛ لأنها مركز ملك بني أمية وبيضتهم . والجزيرة خارجية ؛ لأنها مسكن ربيعة . وهي رأس كل فتنة ، وأكثرها نصارى وخوارج ، ومنازلهم الخابور وهو وادٍ بالجزيرة .

•

---

١ العثمانية : اي الحزب الذي ينتمي الى عثمان بن عفان . العلوية : الحزب المنتمي الى علي بن ابي طالب .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لبني تغلب : يا خنازير العرب . والله لئن صار هذا الأمر إليّ لأضعّفَنّ عليكم الجزية .

●

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مَزْيَد : ما أكثَر الخلفاءَ في ربيعة . قال : بلى ، ولكن منابرهم الجذوع .

●

الأعمش عن سليم ، قال : ذكر عمرُ بن الخطاب الكوفة ، فقال : جُمجُمة العرب ، وكنز الإيمان، ورمح الله في الارض، ومادّة الأمصار .

●

علي بن محمد المَديني قال : الكوفة جاريةٌ حسناء تصنّعُ لزوجِها ، فكلما رآها سرّته .

●

وقال محمد بن عمير بن عطارد : الكوفة سَفلت عن الشام ورُباها ، وارتفعت عن البصرة وعمقِها ، فهي مريّة[1] مريعة عَذِيَة[2] بريّة ، وإذا أتتها الشمال هبّت على مسيرة شهر على مثل رضراض[3] الكافور ، وإذا هبّت الجنوب جاءتها بريح

---

١ مريّة : مسهل مريئة : طيبة الهواء .

٢ عذية : سهلة مريئة .

٣ رضراض : ما صغر ودقّ من الحصى .

السواد وورده وياسمينه وأترجّه، فماؤها عذب، وعيشها خصب.

•

قال ابن عيّاش الهمداني لأبي بكر الهذلي عن أبي العبّاس، وذُكِرَت عنده الكوفة والبصرة، فقال: إنما مَثَلُ الكوفة مثلُ اللهاةِ من البدن يأتيها الماء ببَرده وعذوبته، ومَثَلُ البصرة مثل المثانةِ يأتيها الماء بعد تغيّر وفساد.

•

وقال الحجاج: الكوفة بِكر حسناء، والبَصرة عجوز بخراء[1]، أوتيت من كل حِلي وزينة.

•

وقال جعفر بن سليمان: العِراق عَينُ الدنيا، والبصرة عَينُ العراق، والمِربد عين البصرة، وداري عين المِربد.

•

وقال الأصمعي: تذاكروا عند زياد الكوفة والبصرة. فقال زياد: لو أضللتُ البصرةَ لجعلت الكوفةَ لمن دلّني عليها.

•

وقال حُذيفة: أهلُ البصرة لا يَفتحون باب هُدًى، ولا يُغلِقون بابَ ضلالة، وقد رُفِع الطاعون عن جميع أهل الارض إلا عن أهل البصرة.

•

---

١ البخراء: نتنة رائحة الفم.

وبما نُقِم على أهل الكوفة أنهم أغدر الناس . طعنوا الحسن ابن علي ، وانتهبوا عسكره ، وخذلوا الحسينَ بن علي بعد أن استدعوه حتى قُتل .

وشكوا سعد بن أبي وقّاص إلى عمر بن الخطاب ، وزعموا أنه لا يُحسن أن يصلّي ، فدعا عليهم أن لا يُرضيهم الله عن والٍ ولا يرضي والياً عنهم .

وقد دعا عليهم علي بن أبي طالب فقال : اللهم ارمِهم بالغلام الثَقَفي . يعني الحجاج بن يوسف .

وشكوا عمّار بن ياسر والمُغيرة بن شُعبة ، وطردوا سعيد ابن العاص ، وخذلوا زيدَ بن علي . وادعى النبوة منهم غيرُ واحد ، منهم المختار بن أبي عُبيد . وكتب إلى الأحنف : بلغني أنكم تكذّبونني وتكذّبون رُسلي ، وقد كُذّبتِ الأنبياء من قبلي ولست بخيرٍ من كثيرٍ منهم .

•

وقيل لعبد الله بن عمر : إن المختار يزعم أنه يُوحَى اليه . قال : صدق ، الشياطين يوحون إلى أوليائهم .

•

ولما أرادت سكينة بنت الحُسينِ بن علي رضي الله عنهم الرحيل من الكوفة إلى المدينة بعد قتل زوجها المُصعب حفّ

بها أهلُ الكوفة ، وقالوا : أحسن الله صحابتَك يا ابنةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : لا جزاكم الله خيراً من قوم ، ولا أحسن الخلافـةَ عليكم ، قتلتم ابي وجدي وأخي وعمي وزوجي ، أيتمتموني صغيرة وأيَّمتُموني[1] كبيرة .

•

ولما دخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل المُصعب ، أقبل اليه جماعة من هؤلاء ، قالوا : أمراؤك أهل الكوفـة . قال : قتلة عثمان ؟ قالوا : نعم وقتلة علي ! قال : هذه بهذه .

•

قدم عبدُ الله بن الكَوّاء على مُعاوية ، فقال : أخبرني عن أهل البصرة .

قال : يُقبلون معاً ويُدْبرون شتّى .

قال : فأخبرني عن أهل الكوفة .

قال : أنظَرُ الناس في صغيرة وأوقفهم في كبيرة .

قال : فأخبرني عن أهل المدينة .

قال : أحرصُ الناس على الفِتنة وأعجزهم عنها .

قال : فأخبرني عن أهل مصر .

قال : لُقمة آكل .

---

[1] أيمها : جعلها أيماً ، وهي التي مات عنها زوجها .

قال : فأخبرني عن أهل الجزيرة .

قال : كُناسة بين حُشّين[1] .

قال : فأخبرني عن اهل الشام .

قال : جُند أمير المؤمنين ، ولا أقول فيهم شيئاً .

قال : لتقولن .

قال : أطوع خَلق الله لمخلوق وأعصاهم للخالق ، ولا يخشون في السماء ساكناً .

•

قَتادة قال : قِيست البصرة في زمن خالد بن عبد الله القَسري ، فوجدوا طولها فرسخين وعرضها فرسخين .

•

الأصمعيّ قال : قال ابن شهابٍ الزهري : مَن قدِم أرضاً فأخذ من تُرابها فجعله في مائها ثم شربه عوفي من وبائها .

•

الأصمعيّ قال : دخلت الطائف فكأني كنت أبشّر ، وكان قلبي ينضَح بالسُّرور ، وما أجِد لذلك علّةً إلا انفساحَ جوّها ، وطيبَ نسيمِها .

•

---

١ الحش : الكنيف .

ودخل سليمان بن عبد الملك الطائف ، فنظر إلى بيادر الزّبيب فقال : ما تلك الجِرار السُّود ؟

قيل له : ليست بجرارٍ يا أمير المؤمنين ولكنّها بيادر الزّبيب.

فقال : لله دَرُّ قَسِيٍّ ، في أي عُشّ أودَعَ أفرُخَه ؟

يريد بقَسِيٍّ ثقيفاً . كذلك كان اسمه .

•

الأصمعيّ قال : من أمثال العامة يقولون : حُمَّى خيبر ، وطِحال البحرين ، ودماميل الجزيرة ، وطواعين الشام

•

الأصمعي قال : ذكروا أن في باب سمرقند مكتوباً : بين هذه المدينة وبين صنعاءَ ألفُ فرسخ .

•

قال الأصمعيّ : وبين بغدادَ وأفريقية ألفُ فرسخ ، وبين الكوفة والبصرة ثمانون فرسخاً ، وواسطٌ بينهما متوسطة ، ولذلك سميت واسطاً .

الشامات

أول حدٍّ الشّام من طريق مصر أمَج ، ثمّ يليها غزّة ، ثم الرّملةُ ، رملةُ فلسطين ، ومدينتُها العظمى فلسطين وعَسقلان ، وبها بيت المَقدِس . وفلسطين هي الشّام الاولى .

ثم الشام الثانيةُ ، هي الأردنْ ، ومدينتها العظمى طبريّة ، وهي التي على شاطىء البُحَيرة . والغَورُ واليرموكُ . وبِيسانُ فيما بين فلسطين والأردن .

ثم الشامُ الثالثةُ الغوطةُ ، ومدينتها العظمى دِمَشق ، ومن سواحلِها طرابلسُ .

ثم الشامُ الرابعة وهي أرضُ حمصَ .

ثم الشام الخامسة وهي قِنَّسْرِين ، ومدينتُها العظمى — حيثُ السلطانُ — حلَب . وبين قنسرين وحلبَ أربعةُ فراسخ ، وساحلُها أنطاكيّةُ ، مدينةٌ عظيمةٌ على شاطىء البحر ، في داخلها البساتينُ والأنهار والمزارع ، وهي مدينة حبيبٍ النجّار ، الذي جاء من أقصى المدينة يَسعى . وبها مَسجدٌ يُنسَب إلى حبيبِ النجار .

ومن ثغور الشامِ الخامسةِ : المَصيصةُ وطَرسوسُ ونهرا جِيحانَ وسِيحانَ .

الجزيرة

ثم الجزيرةُ ، وهي ما بينَ دِجلةَ والفُراتِ ، وبهما نهرانِ يقال لهما الخابورُ والبَليخُ ومخرجُهما من رأسِ العين ، مدينةٍ عظيمةٍ بالجزيرة في داخلِها عينٌ هي عنصرُ الخابورِ والبليخ . وعلى الخابور منازلُ ربيعةَ أكثرُها نصارى ، وخوارجُ . ونَصيبين من الجزيرة ، وهي مدينةٌ عظيمةٌ مطلّةٌ على جبلِ الجُودِيّ . والموصلُ من الجزيرة أيضاً . والرّقّةُ وحرّانُ من الجزيرة أيضاً . ومن ثغورِ الجزيرةِ في جهةِ عمّوريةَ من أرضِ الروم بَطْرةُ ومَلَطْيةُ . وفي جوفِ الفُرات جزائرُ فيها مدنٌ يقال لها عانةُ وعاناتُ . وعلى شطِ الفراتِ مما يلي الجزيرة قِرقِيسيا ، ومما يلي الشامَ الرّحبةُ ، رَحبةُ مالكِ بنِ طَوق .

العراقان

العراقانِ: هما البصرةُ والكوفةُ، ومما أحدثَ الخلفاءُ بالعراقِ، خلفاءُ بني هاشم، من المدن، الأنبار، وهي مدينةُ أبي العبَاس، أولِ من وَليَ الخِلافة من بني هاشم، ابتناها واتخذَها دارَ خِلافته. ثم وَليَ أخوه أبو جعفر المنصورُ، فانتقل إلى بغدادَ وابتنى بها الكَرْخَ، وهي مدينةُ السلام في جوفِ بغدادَ، وهي دارُ خِلافة بني هاشم. حتى قام المُعتصِمُ محمدُ بنُ هارونَ فانتقل منها إلى سامَرّا. وتفسير سامرا أن سامَ بنَ نوحٍ عليه السلامُ بناها، وإنما هو بالسريانية، وهي دارُ الخلافةِ إلى الآن.

فارس

منها الأهوازُ مدينةٌ عظيمةٌ ، وبلدُها واسعٌ جداً ، وهي من سوادِ البصرة . وتُستَرُ ، مدينةٌ يُعمَلُ فيها التُستَرِيُّ من الملاحفِ . ومدينةٌ يقال لها جُورُ وإليها يُنسب ماءُ الوردِ الجُوري . ومدينةٌ يقالُ لها إصْطَخْرُ بها تُعمَلُ الأكسيةُ الإصطخريّةُ الجيادُ السودُ . ومدينةٌ يقال لها السُّوسُ بها تُعمَلُ الثيابُ السوسيَّةُ من الخزِّ وغيرِه . ومدينةٌ يقالُ لها العَسكَرُ وإليها تُنسب الثيابُ العسكريّة . ومدينةٌ يقالُ لها الأفساسارُ وبها تُعمل الأكسيةُ الأفساساريةُ الجيادُ . ومدينةٌ يقال لها دَسْتُوَا ، وبها تُعمل الثياب الدستوائيةُ . ومدينةٌ يقال لها مَيْسانُ ، وبها يُعمل الوِطاءُ المَيساني . ومدينة يقال لها الدَّسكَرَةُ ، دسكرةُ المَلِكِ ، كانت لكِسرى . ومدينةٌ يقال لها حُلوانُ ، وهي أولُ الجبالِ من خُراسانَ وآخرُ العراق .

خراسان

أولى مدنِها الرَيّ ، وهي آخرُ الجبالِ من خُراسانَ ، واليها يُنسَب ، من الرجال ، الرازيّ ، ومن خُراسان مَرو ، وهي دارُ خِلافة المأمونِ ، ومنهـا خرجَ أبو مُسلمٍ صاحبُ الدّعوة . ومن يُنسب إليهـا من الرجال يقال له مَرْوَزي ، ومن الثيابِ مرويّ . ومدينةٌ يقال لها قُومَسُ ، وإليها تُنسب الطّيقانُ[1] القُومسيّةُ . ومدينةٌ يقال لها سابور بها مُلكُ بني طاهر . ومدينةٌ يقال لها هَراةُ إليهـا يُنسب الهَرَويّ من الرجالِ والمَتاع . ومدينةٌ يقال لها بَلخُ وإليها يُنسبُ البلخيّ ، وبها معادنُ البِجاديّ[2] العتيقِ ، وهو جنس من الفصوصِ تُسميـه العامة البَزادي . ومدينة يقال لها خُوارزمُ وإليها يُنسب الخُوارزميّ ، وهي على شطّ البحرِ المحيطِ .

وبلخ على شط النهرِ العظيم ، الذي يقال له جيحانُ بخُراسان . ثم جُرجانُ ، وهي مدينة عظيمة على شطّ البحرِ المحيط ، وإليها

---

١ الطيقان ، الواحد طاق : ضرب من الثياب ، أو الطيلسان ، او الأخضر منه.
٢ البجادي : حجر يشبه الياقوت .

يُنسب الوشي الجُرجاني والمتاع . ثم قُوهَى وهي مدينة عظيمة إليها يُنسب القوهيُّ من الثياب . ثم كابُل ، وهي مدينة يؤتى منها بالإهليلج[1] الكابُلي . ثم سَمَرْقَند ، وهي مدينة عظيمة إليها يُنسب السمرقندي من الثياب. وبين بغدادَ وبينَها مسيرة ستةِ أشهر ، ومما يليها كَرْمان ، وهي على بطائحِ السِّند ، وبلاد السندِ من آخرِ خُراسان ، ما بين المَغرِب والمَشرِق من جهة القبلة .

وآخر مدن خُراسانَ مدينة يقال لها تُبَّت ، وهي من أرض التركِ وبها يجمعُ المِسكِ وإليها يُنسب المسك التُّبَّتي .
ومدينةٌ يقال لها فرغانةُ ، وأهلُها جنسٌ من العجَم يقال لهم الصُّغد ، وهم الذين يقطعون آذانَهم من الحُزنِ ، إذا مات لهم كبير .

ومن المدنِ التي في صَدرِ خُراسانَ مع الجبالِ مدينةٌ يقال لها قَرْمِيسين . ثم الدِّينَوَر ، وإليها يُنسب الدينوري .
ومدينةُ هَمَذانَ مدينةٌ عظيمة ، وطَبَرستانُ مدينةٌ عظيمة فيها تُعملُ الأكسية الطبريَّةُ ، ثم قُمٌّ وهي مدينة عظيمة منها يؤتى بالزعفرانِ ، ثم أصبهانُ وهي مدينة عظيمة ، ثم طُوس وهي من ثغور الجبال .

---

[1] الاهليلج : ثمار عطرية .

مصر

من ناحيةِ الشام الفُسطاطُ ، وهي مدينـــةٌ بها مِنبرانِ ومَسجِدان، يُجمع فيهما العسكرُ حيثُ السلطان. وعينُ شمسَ، بها مِنبرٌ ، وهي كانت مدينةَ فِرعونَ ، وفيها بنيانُـــه قائمٌ . والفرَما لهـا مِنبرٌ ، والعَرِيشُ الذي يقال له عريشُ مِصر له مِنبر ، وهي آخرُ مِصر وأول الشام .

ومن أسفلِ الأرض بُوصيرُ ، لها مِنبر . وتِنّيسُ لها مِنبر ، وإليها تُنسب الثياب التِّنيسية ، وبها طِرازٌ للخليفة . وشَطـا لها منبر وإليها يُنسب الشَّطَوي . ودَبِيقُ ، لهـا منبر وإليها يُنسب الدَّبيقيّ من الثياب . والإسكندرية لها مِنبر .

من ناحية الحجاز القُلْزُمُ لها منبر . وأيْلَـة لها منبر .

ومن ناحيةِ الصعيدِ القَسّ، وإليها يُنسب القَسّيّ من الثياب . والصَّفَن ، وإليها تُنسب الأكسية الصفنيّـة الحمرُ . ودَلاصُ لها منبر ، وهي مجمع سحَرةِ مصرَ . والفَيُّومُ مدينـةٌ لها منبر تؤدّي كل يوم ألف دينار ، وخلفَ ذلك بوق ، وبهـا تكون معادن الذهب والجواهر والزبرجد .

صفة المسجد الحرام

صَحنُه كبيرٌ واسعٌ ذَرعُه طولاً من باب بني جُمَح إلى باب بني هاشم الذي يقابل دارَ العبّاس بن عبد المطّلب أربعمائة ذراع وأربعُ أذرعٍ . وذرعُه عرضاً من بابِ الصّفا إلى دارِ النّدوةِ لاصقاً بوجهِ الكعبةِ الشرقيّ ثلثُمائةِ ذراعٍ وأربعُ أذرع .

وله ثلاث بَلاطات مُحدقةٌ به من جِهاته كلّها ، مُنتظمٌ بعضُها ببعض . وهي داخلة في الذرع الذي ذكرتُ ، فوقها سماواتُها مذهّبةٌ ، وحافاتُها على عَمَدٍ رُخام بِيضٍ عددُها ، في طوله من الشرق إلى الغرب مع وجه الصّحنِ ، خمسون عموداً ، وفي عرضه ثلاثون عموداً ، بين كل عَمودين مثلُ عشرِ أذرع .

وجُملةُ عَمَدِ المسجدِ أربعمائةٍ وأربعةٌ وثلاثون عموداً ، طولُ كلّ عمود منها عشرُ أذرع ودَوْرُه ثلاثُ أذرع .

والمُذهَبةُ من رؤوسِ العَمَد ثلثمائةٍ وعشرون رأساً .

وسورُ المسجِدِ كلّه من داخلهِ مزخرفٌ بالفُسيْفِساءِ .

وأبوابُه على عمَد رخامٍ ما بين الأربعةِ إلى الثلاثةِ إلى الاثنينِ ، وهي ثلاثةٌ وعشرون باباً لا غَلَق عليها ، يُصعد عليها في عدةٍ من درج .

صفة الكعبة

وبيتُ اللهِ الحرامُ بوَسَطِ المسجدِ ، كان ارتفاعُه في عهدِ إبراهيمَ ، عليه السلام ، فيما يقال ، واللهُ أعلم ، تِسعُ أذرع ، وطولهُ في الأرض ثلاثون ذراعاً ، وعرضُه اثنتان وعشرون ذراعاً . وكان له ثلاثةُ سُقوفٍ ثم بَنَته قُريشٌ في الجاهلية فاقتصرَت على قواعدِ إبراهيمَ ورفَعَتْه ثمانيَ عشرةَ ذراعاً ، ونقَصت من طولِه في الأرض ستٌّ أذرع وشِبراً تركته في الحِجْر ، فلما هدَمه ابنُ الزبيرِ ردَّه على قواعدِ إبراهيمَ ورفعه سبعاً وعشرينَ ذراعاً ، وفتحَ له بابين : باباً إلى الشرقِ وباباً إلى الغربِ يُدخَلُ من الشرقي ويُخرجُ من الغربي . فكان كذلك حتى قُتل .

فلما تغلَّبَ الحجّاجُ على مكةَ استأذن عبدَ الملك بنَ مروان في هدمِ ما كان ابنُ الزبير زادَه من الحِجْر في الكعبة . فاذن له فردَّه على قواعدِ قريشٍ وسدَّ الباب الغربيَّ ولم يُنقِص من ارتفاعه شيئاً .

فذَرْعُ وجهِه القِبلي ، اليومَ ، من الرُّكنِ الأسود إلى الركنِ اليماني عشرون ذراعاً ، ووجهُه الجنوبيُّ من الركن

العراقيّ إلى الركن الشامي ، وهو الذي يلي الحجر ، إحدى وعشرون ذراعاً . ووجهُه الشرقي من الركن الأسود إلى الركن العراقي خمس وعشرون ذراعاً . ووجهُه الغربي من الركن اليماني إلى الركن الشامي خمس وعشرون ذراعاً .

وحولَ البيت كلّه ، إلا موضعَ الركن الأسود ، درجة مُجصّصة، يكون ارتفاعُها عظمَ الذراع في عرض مثلهِ ، وقايةً للبيت من السيل .

وباب البيت في وجهه الشرقي على قدر القامة من الأرض ، طولُه ستُّ أذرع وعشرُ أصابع ، وعرضُه ثلاث أذرع وثمانيَ عشرةَ إصبعاً . والبابانِ من ساجٍ[1] ، غِلظ كلّ باب ثلاثُ أصابع ، ظاهرُهما مُلبَّس بالذهب وباطنُهما بالفضّة ، في كلّ بابٍ ستُّ عوارضَ ، ولها عُروتانِ يضرِبُ فيهما قُفلٌ من ذهب وحواجبُه كلها مذهّبة ما عدا الحاجب الأيمنَ ، فإن العلويَّ الثائرَ لما تغلّب على مكة قلعَ ذهبَه فتُرك على حاله .

وتحت العتبة العُليا عتبةٌ مذهّبة والبابان من ورائهما ، والعتبة السُّفلى مستورةٌ بالدّيباج إلى الأرض .

وبين الرُّكن الأسودِ والبابِ خمسُ أذرعٍ أو نحوُها ، وهو الملتزَمُ فيما يُذكر عن ابن عباس .

---

١ الساج : شجر عظيم صلب الخشب .

والحجرُ الأسودُ على رأسِ صخرتَين من وجهِ الأرضِ ، قد نُحِتَ من الصخرِ مقدارَ ما أُدخِل فيه الحجرُ وشُقّت الصخرةُ الثالثةُ عليهما مثل إصبعين ، والحجرُ أملسُ مجزَّعٌ حالكُ السوادِ في قَدر الكفّ المحنيَّةِ ، قد لُزَّ من جوانبِه بمساميرِ الفضة . وفيه صدوع[1] ، وفي جانبٍ منه صفيحةُ فضّة تحسبها شظيّة منه شُظِيت فجُبِرت بها . وصخر الركن الأسودِ أحرش[2] أكبرُ من صخرِنا قليلاً .

وللبيتِ سقفانِ سقفٌ دونَ سقفٍ ، وفيهما أربع روازن[3] ينفذ بعضها إلى بعضٍ للضوءِ ، وللسقفِ الأسفلِ ثلاثُ جوائزَ من ساجٍ منقّشةٌ مذهَّبةٌ . وفي داخل البيت في الحائط الغربيّ ، قُبالةَ الباب ، الجَزعة[4] ، على ستّ أذرع من قاع البيت ، وهي سوداء مخطّطة ببياض ، طولها اثنتا عشرة إصبعاً في مثل ذلك ، وحولها طَوْق من ذهب عرضُه ثلاثُ أصابع . ذُكر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم جعلها على حاجبه الأيمن حين صلّى في البيت .

والحِجر بجوفيّ البيت محجورٌ من الركن العراقيّ الى الركن الشامي تحجيراً محْنياً غيرَ مرتفع . قد انقطع طرفاه دون الركنين

---

١ صدوع ، الواحد صدع : الشق .

٢ أحرش : خشن .

٣ الروازن ، الواحدة روزنة : وهي الكوة والنافذة .

٤ الجزعة : خرزة يمانية سوداء وبيضاء .

اللذين يَليانه بمثل ذراعين للدخول والخروج ، يكون ما بين مُوسَطَةِ جنبي التحجيرِ والبيت كما بين الرُّكنين ، وارتفاعُ التحجير مثلُ نصفِ قامة . وهو ملبَّسٌ بالرُخامِ من داخله وخارجِه وأعلاه ، وجُعِل بين كُل رُخامتَين عمودٌ من رَصاص لِزازاً لهما ، وقاعُ الحِجرِ كلُّه مفروشٌ بالرخام ، ومصبُّ الميزابِ فيه ، وقِبلتُنا إليه .

والميزاب موسَطَة أعلى جدار الكعبة خارجاً عنه مثل أربع أذرع في سعته ، وارتفاعُ حيطانِه ثماني أصابعَ ، ملبَّس ظاهرُه وباطنُه بصفائحِ الذهب . والصفائحُ مسمَّرةٌ بمسامير مروَّسةٍ من ذهب .

والبيتُ كلُّه مستورٌ إلا الركنَ الأسودَ ، فان الأستار تُفرَجُ عنه مثلَ القامةِ ونصفٍ ، وإذا دنا وقتُ الموسِم كُسِيَ القَباطيَّ ، وهو ديباجٌ أبيضُ خُراساني ، فيكونُ بتلك الكسوةِ ما كان الناس مُحرِمين . فإذا حلَّ الناس ، وذلك يومَ النحر ، حلَّ البيتُ ، فكُسي الديباجَ الأحمرَ الخُراساني . وفيه داراتٌ مكتوبٌ فيها حَمد الله وتَسبيحه وتكبيره وتعظيمه ، فيكون كذلك إلى العامِ القابل . ثم يُكسى أيضاً على حالِ ما وصفتُ . فإذا كثرتِ الكُسوة فخُشي على البيت من ثِقلِها خُفِّف منها ، فأخذ ذلك سَدَنةُ البيتِ ، وهم بنو شَيبة .

وذكر بعض المِصريين أنه حضر كشف البيتِ سنةَ خمسٍ وستين فرأى بَلاطه الزعفرانَ واللُّوبان .

وذكر أيضاً عن بعضِ المكيين حديثاً يرفعونه إلى مشائخهم ، أنهم نظروا إلى الحجر الأسود ، إذ هَـدم ابنُ الزبير البيتَ وزاد فيه ، فقدّروا طولَـه ثلاثَ أذرع ، وهو ناصعُ البياضِ ، فيما ذكروا ، إلا وجهَه الظاهر . واسودادُه فيما ذكروا ، والله أعلم ، لاستلامِ أهلِ الجاهليةِ إياه ، ولطخِه بالدم .

والمَقام بشرقيّ البيتِ على سبعٍ وعشرين ذراعاً منه ، وجهُ المُصلّي خلفَه مستقبلٌ البيت إلى الغَربِ ، والركنُ العراقي على يمينـهِ ، والبابُ والركن الأسودُ على يَساره ، وهو فيما ذَكَر من رآه حجرٌ غيرُ مرفوع يكون ذراعـاً في ذراع ، وفيه أثر قدمِ إبراهيمَ عليه السلام ، وطولُ القدم مثلُ عظم الذراع .

والحجر موضوع على منبر لئلا يمرّ بـه السيل ، فإذا كان وقتُ الموسِمِ وُضع عليه تابوتُ حديدٍ مثقّبٌ لئلا تنالَـه الأيدي.

وحولَ البيتِ كُلّـه سَوارٍ ستٌّ غِلاظٌ مربّعةٌ من حديدٍ مذهبةٌ ورؤوسُها مذهبةٌ أيضـاً ، يوقد عليها بالليل للطائفين ، بينَ كلّ عمودٍ منها والبيتِ نحو ما بين المقام والبيت .

وزمزم بشرقي الركن الأسودِ بينَهما مثلُ الثلاثين ذراعاً .
وهي بئر واسعة تَنّورهـا من حجر مطوقٍ أعلاه بالخشبِ ،

وسقفها قبوٌ مُزخرف بالفُسيفساءِ على أربعةِ أركانٍ ، تحتَ كل ركن منها عمودا رُخام متلاصقان ، قد سُدَّ ما بين كل ركنين منها بشَرجبٍ[1] خشبٍ ، ورُد إلى بابٍ من جهة المشرق. وحول القبو كله رفٌّ مثل البُرطُلَة[2] ، وبشرقي زَمزمَ بيتٌ مقدَّر سقفه قبو مُزخرف بالفُسيفساء أيضاً مقفل عليه ، وشرقيّ هذا البيت بيت كبير مربّع له ثلاثة أقباء ، وفي كل وجه منه باب .

وحَمام المسجدِ كثيرٌ أنيسٌ ، يكاد الإنسان أن يطأه بقدمه لأنسه بالناس ، وهو في لون حمام الأبرِجَةِ عندنا إلا أنه أقدرُ منه ، وليس منها حَمامة تجلس على البيت ولا تطيرُ عليه . ولقد همّني ذلك فرأيتها حينَ تكاد أن تُحاذي البيت ، وهي مُستعلية في طيرانها ذلك ، عكست حتى تصيرَ دونه ، وأخذت عن يمينه أو يَساره ، وذرقُها ظاهرٌ بارزٌ على البيوتِ التي في المسجد ، إلا بيتَ اللهِ الحرام ، فإنه نقي ليس فيه ولا عليه منه أثر ، فسبحان معظّمه ومقدّسه ومطهّره وتعالى علوّاً كبيراً .

وبين بابِ الصّفا – وهو بقبليّ البيت – والصفا الشارعُ ، وهو بطن الوادي ، وبعد الشارع فِناءٌ غيرُ كبيرٍ فيه الباعة ،

---

١ الشرجب : شيء كالحاجز ، والكلمة عامية .

٢ البرطلة : المظلة .

ثم الصفا في أصل جبل أبي قُبيس قد أحدقَ بها البناءُ إلا من الوجه الذي يُرقى اليها منه ، والرُقيّ إليها على ثلاثِ دَرج مبنيةٍ بالصخر . والواقف على الصفا مستقبلُ الجوفِ ينظر إلى البيتِ من بابِ الصفا .

والمَروةُ بشرقيّ المسجد وهي من الصفا بين المشرق والمغرب ، قد أَحدق بها البناء أيضاً إلاّ من وجه المُصعِدِ إليها ، وهو من أعلى القصور ، بينها وبين المسجد الحرامِ الزقاقُ الضيّقُ ، فالواقفُ على المروةِ مُستقبلُ البيتِ ، تُجاهَ الفُرجةِ ، يرى الميزابَ وما اتصل به من البيت ، وبين الصفا والمروة شبيهٌ بما بين السِّقاية والمَسجدِ الجامع . والساعي بينهما إذا هَبط من الصفا يريدُ المروَةَ سلك في الشارع ، وهو بطنُ الوادي ، عن يمينه القصورُ ، وعن يَساره المَسجِدُ ، ثمّ يعترِضه بطنُ وادٍ ، إذا انصبَّت قدماه فيه أرقَلَ[1] حتى يخرج عن آخرهِ ، وله عَلَمان أخضران في جانبي الوادي ، أحدُهما ، وهو الأول ، خلفَ بابِ الصَفا لاصقاً بالسورِ ، والثاني أمامَه بائنٌ عن السورِ ، جُعِلا ليُفهمَ بهما حدُّ الوادي الذي يُرمِل فيه .

ومِنًى قَريةٌ بشرقيّ مكة تنحو إلى القِبلة قليلاً ، خارجةٌ عن الحَرَم على نحو الفرسخ منها ، وفيها بُنيانٌ وسقايات ،

---

[1] أرقل : اسرع .

وأول ما يَلقى منها الخارجُ من مكـةَ إليها جمرة العقبةِ ثم الجمرتينِ اللتين ترُمَيانِ مع جمرةِ العقبةِ بعدَ يومِ النحرِ أيامَ التشريقِ . وبها مَسجدٌ أكبرُ من جامعِ قرطبةَ ، وهو مسجدُ الخَيْف ، له مما يلي المِحرابَ أربعُ بَلاطاتٍ معترضةٍ ، سقفُها من جرائدِ النخل ، وعَمَدُها مجصَّصةٌ ، والمنبرُ عن يَسار المحراب ، والبابُ الذي يَخرُجُ منه الإمامُ عن يمينهِ ، وفي مُوسَطةِ صحنِ المسجدِ منارةٌ ، وفي كل جانب منها سقيفة .

والمُزدلِفة ، وهي المشعرُ الحرامُ بين مِنى وعَرفة ، وهي من مِنى على نحو الميلين ، ولها مسجد مُصحِرٌ لا بناء فيه إلاّ الحائطَ الذي فيه المحراب ، وليس بها ساكن .

وعَرفةُ بشرقيّ مِنى على نحو الفرسخين منها ، ليس بها ساكنٌ ولا بناء إلا سقاياتٍ وقنواتٍ يجري فيها الماء ، وليسَ بمسجدها بنيانٌ إلا الحائطَ الذي فيه المِحرابُ ، وموقِفُ الناس يومَ عرفةَ بعرفةَ في الجبل وما يليه مما تحته ، والجبلُ بين المشرق والجوفِ من مسجدِها ، وفي الموضع الذي يقف فيه الإمامُ ماءٌ جارٍ . ومحرابُ مِنى وعرفةَ والمزدلِفة إلى نحو المغرب .

صفة مسجد النبي

صلى الله عليه وسلم

بَلاطاتُه في قِبلته معترضةٌ من المشرق إلى المغرب ، في كل صفٍّ من صفوف عَمَدِها سبعةَ عشرَ عموداً ، ما بينَ كل عمودين منها فجوةٌ كبيرةٌ واسعة ، والعَمَد التي في البَلاطات القبليةِ بيضٌ مجصَّصةٌ شاطَّة جداً[1] ، وسائرُ عَمد المسجد رُخام ، والعمد المجصَّصةُ على قواعدَ عظيمةٍ مربعةٍ ورؤوسُها مذهَّبةٌ عليها نُجُفٌ[2] منقّشةٌ مذهَّبةٌ ، ثم السمواتُ على النجف وهي أيضاً منقّشة مذهبة .

وقبالةَ المحرابِ موسَطةَ البَلاطاتِ[3] ، بلاط مذهب كُلُّه شُقَّت به البلاطات من الصَحنِ إلى أن ينتهي إلى البلاط الذي بالمحراب ولا يشقّه ، وفي البلاط الذي يلي المحرابَ تذهيبٌ كثير ، وفي موسطتهِ سماءٌ كالترسِ المقدّرِ مجوّفٍ كالمَحار ، مذهبٍ ، وقد أخذ وجهَ السورِ القبلي من داخل المسجد بإزار رُخام من أساسهِ إلى قدر القامةِ منه و كفٌ على الإزار بطوقٍ

---

١ شاطة : عالية مرتفعة .

٢ نجف : لعلها جمع نجيف : السهم العريض النصل ، او جمع نجاف : وهو اسكفّة الباب .

٣ موسطة الشيء : ما كان في وسطه .

رُخام في غِلـَظ الأصبع ، ثم من فوقـه إزارٌ دونَه في العرض مخلـَّق بالخلوق ، ثم فوقـَه إزارٌ مثل ُ الأولِ فيه أربعةَ عشرَ باباً في صفٍّ من الشرقِ إلى الغرب في تقدير كُوى المسجِد الجامع بقُرطُبةَ منقشةٌ مذهبةٌ ، ثم فوقـَه إزارُ رُخامٍ أيضاً فيه صنيفةٌ سماويةٌ فيها خمسةُ سطورٍ مكتوبـةٍ بالذهب بكـِتاب ثخينٍ ، غلظُه قدر أصبعٍ ، من سُور قصارِ المفصّلِ ، ثم فوقـهُ إزارُ رخام مثل ُ الأولِ الأسفلِ ، فيه تـرَسَـةٌ من ذهـَب منقشةٌ وبين كل تِرسين منها عمود أخضرُ في حافاتِـه قضبانٌ من ذهـَب ، ثم فوقه إزار رخام فيه صنيفةٌ منقشةٌ عرضُها مثل عُظْم الذراعِ ، لها قضبانٌ وأوراقٌ من ذهـَب ، ثم فوقه إزارُ فسيفساءَ عريضٌ ، ثم السماواتُ عليه .

والمحراب في مُوسَطة السورِ القبلي ، على قوسِه قـُصَّـةٌ[١] من ذهـَب ناتئةٌ غليظةٌ ، في وسطِها مرآةٌ مربعةٌ ذُكِرَ أنهـا كانت لعائشة رضي الله عنها .

---

١ القصة : الخصلة من الشعر ، والطرّة .

قبو المحراب

مقدّرٌ جداً ، وفيه داراتٌ بعضها مذهّبة وبعضها حُمرٌ وسود ، وتحت القبوِ صنيفةُ ذهبٍ منقّشة ، تحتها صفائحُ ذهب مثمّنة ، فيها جزَعة في مثل جُمجُمة الصبي الصغير مسمّرة ، ثم تحتها إلى الأرض إزار رُخام مُخلّق بالخَلوقِ[1] ، فيه الوتد الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه في المِحراب الأول ، عند قيامه من السجودِ فيما ذُكِرَ . والله أعلم . وعن يمينِ المِحراب بابٌ يَدخُلُ منه الإمامُ ويخرُج ، وعن يَساره بابٌ صغير شِطرنجيّ قد سُدَّ بعوارضَ من حديد ، وبين هذين البابين والمحراب تَمشّى مسطّحٌ لطيف .

والمقصورةُ من السورِ الغربي لاصقةٌ بالباب إلى الفصيل اللاصقِ بالسورِ الشرقي ، ومن هذا الفصيل يُصعد إلى ظهر المسجد ، وهي قديمة مختصرةُ العمل ، لها شرَفاتٌ وأربعةُ أبواب . وخارج المقصورةِ قريباً منها عن يَسار المحراب سَربٌ[2] في الأرض يُهبَط فيه على دَرجٍ فيُفضى منها إلى دار عمرَ بنِ الخطاب رضيَ الله عنه .

---

١ مخلق : مطيب . الخلوق : الطيب .

٢ السرب : الحفير تحت الارض .

والمنبرُ عن يمين المحراب في أول البلاط الثالث من المحراب في روضةٍ مفروشةٍ بالرُخام محجورٍ حولها به. وله درجٌ، وسُمِّرَ في أعلاه لوحٌ لئلا يجلِسَ أحد على الدرجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عليها، وهو مختصرٌ ليس فيه من النقوشِ ودقةِ العمل ما في منابر زمانِنا الآن، والجذعُ أمامَ المنبر، وبشرقي المنبر تابوتٌ يُستر به مقعدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقبرُه صلواتُ الله عليه وسلامُه، بشرقي المسجد في آخر مسقفِه القبلي مما يلي الصحنَ بينه وبين السور الشرقي مثلُ عشرِ أذرع، قد حُظِرَ حولَه بحائطٍ بينَه وبينَ السقفِ مثل ثلاثِ أذرع، وله ستةُ أركان، ولُبِّس بإزار رُخامٍ أكثرَ من قامةٍ، وما فوق الرخام مخلَّق بالخلوق.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بين قبري ومِنبري روضةٌ من رياضِ الجنة، ومنبري على تُرعةٍ من تُرَع الجنة.»

وعلى ظهر المسجد، حِذاءَ القبرِ، حِجْرٌ محجور، لئلا يُمشى عليه. والبَلاطاتُ الجَوفيّةُ خمسةٌ والغربيّة أربعةٌ، منتظمٌ بعضُها ببعضٍ في طولِها مع وجهِ الصحنِ من القبلة إلى الجوفِ ثمانيةَ عشرَ عموداً، وحنايا المسجدِ كلُّها، مما يلي الصحنَ، مشدودةٌ من جهاتِها الأربعِ إلى مناكبِ العمَدِ من داخِله،

مزخرفةٌ بخشبٍ منقّشٍ .

وللمسجد ثلاثُ منارات اثنتان في الجوفِ وواحدةٌ في الشرق ، وحيطانُ المسجد كلُّها من داخلِه مزخرفةٌ بالرخامِ والذهب والفسيفساء أولها وآخرُها ، وله ثمانيةَ عشرَ باباً عُتبُها مذهبةٌ ، وهي أبوابٌ عظيمةٌ لا غلَق عليها ، أربعةٌ منها في الجوف ، وسبعة في الشرق ، وسبعة في الغرب .

وقاعُ المسجد كلُّه مفروشٌ بالحَصى وليس له حُصر ، ووجهُ سورِ المسجد كله ، من خارجٍ ، منقّشٌ بالكَذّان[1] ، وكذلك الشَرَفات .

فينبغي للداخل في المسجد أن يأتي الروضة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنها روضةٌ من رياضِ الجنة » فيصلي فيها ركعتين ، ثم يأتيَ قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، من قِبَل وجهِه فيستدبرَ القِبلةَ ويستقبلَ القبرَ ، ويسلّمَ عليه صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، ولا يَلصَقَ بالقبر فإنه من فِعل الجُهّال ، وقد كُرِه ذلك ، فإذا فعلَ ما ذُكرَ استقبلَ القِبلة ودعا بما أمكنه بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وعرّفنا به ، ورُزِقنا شفاعته برحمته ، آمين .

---

١ الكذان : الحجارة الرخوة النخرة .

صفة مسجد بيت المقدس

وما فيه من آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

طولُ المسجدِ سبعُمائةِ ذراعٍ وأربعٌ وثمانون ذراعاً، وعرضُه أربعُمائةِ ذراع وخمسٌ وخمسون ذراعاً بذراع الإمام، ويُسرَجُ في المسجدِ ألفُ قنديلٍ وخمسُمائة قنديلٍ، وعدّةُ ما فيه من الخشبِ ستةُ آلافِ خشبةٍ وتسعُمائةِ خشبةٍ، وعددُ ما فيه من الأبوابِ خمسون باباً، وعددُ ما فيه من العَمَد ستُّمائةٍ وأربعةٌ وثمانون عموداً، والعَمدُ، التي داخلَ الصخرة، ثلاثون عموداً، والعَمَد، التي خارجَ الصخرة، ثمانيةَ عشرَ عموداً، وفيه الصخرةُ المُلبسةُ صفائحَ الرصاصِ عليها ثلاثةُ آلافِ صفيحةٍ وثلثُمائةٍ واثنتان وتسعون صفيحةً، ومن فوقِ ذلك صفائحُ النُّحاسِ مطليةٌ بالذهب يكونُ عليها عشرةُ آلافِ صفيحة، ومائتان وعشرُ صفائح.

وجميع ما يُسرَج في الصخرة، من القناديل، أربعُمائةِ قنديلٍ وأربعةٌ وستون قنديلاً بمعاليقِ النحاسِ وسلاسلِ النُّحاس.

وكان طولُ صخرةِ بيتِ المقدسِ في السماء اثني عشر ميلاً، وكان أهلُ أريحاء يستظلون بظلها، وأهل عَمَواس مثل ذلك. وكان عليها ياقوتةٌ حمراءُ تضيء لأهل البلقاء، وكان يَغزلُ في ضوئِها نِساءُ أهل البلقاء.

وفي المسجد ثلاثُ مقاصيرَ للنساء ، طولُ كل مقصورة ثمانون ذراعا في عرض خمسين ذراعاً ، وفيه من السلاسلِ لتعليقِ القناديل ستمائةِ سلسلةٍ ، طول كل سلسلةٍ ثماني عشرةَ ذراعاً ، وفيه من غرابيلِ النحاسِ سبعون غِربالاً ، وفيه من الصنوبر التي للقناديل سبعُ صنوبراتٍ ، وفيه من المصاحفِ الجامعةِ سبعون مُصحفاً ، وفيه من الكبار التي في الورقة منها جلد ستة مصاحفَ على كراسي تجعلُ فيها .

وفيه من المحاريب عشرةٌ ، ومن القِبابِ خمسَ عشرةَ قبةً ، وفيه أربعةٌ وعشرون جُبّاً للماء ، وفيه أربعُ مناورَ للمؤذنين ، وجميعُ سطوحِ المسجد والقبابِ والمناراتِ ملبسةٌ صفائحَ مُذهبة .

وله من الخدم بِعيالاتهم مائتا مملوكٍ وثلاثون مملوكاً ، يقبضون الرزقَ من بيتِ مال المسلمين ، ووظيفتُه في كل شهر من الزيت سبعُمائة قِسْطٍ[1] بالإبراهيمي ، وزنُ القِسط رطلٌ ونصفٌ بالكبيرِ ، ووظيفتُه في كل عام من الحُصر ثمانيةُ آلافٍ ، ووظيفته في كل عام من الشُراقة لفتائل القناديل اثنا عشر ديناراً ، ولزُجاج القناديل ثلاثةٌ وثلاثون ديناراً ، ولصنّاعٍ يعملون في سطوح المسجد في كل عام خمسةَ عشر ديناراً .

[1] القسط : الكوز بلغة أهل الأمصار ، أو هو مكيال قدر نصف صاع .

آثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام

ببيت المقدس

مَرْبَطُ البُراقِ الذي ركبه النبي صلى الله عليه وسلم تحت رُكن المسجد .

وفي المسجد بابُ داودَ عليه الصلاة والسلام ، وبابُ سليمانَ عليه الصلاة والسلام ، وباب حِطّةَ التي ذكرها الله تعالى في قوله تعالى « وقولوا حِطّة » وهي قول لا إله إلا الله ، فقالوا : حنطة ، وهم يسخرون ، فلعنهم الله بكفرِهم ، وباب محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وباب التوبةِ الذي تاب الله فيه على داودَ ، وباب الرحمةِ التي ذكرها الله تعالى في كتابه « له بابٌ باطنُه فيه الرّحمة وظاهرُه من قِبَله العذاب » يعني وادي جهنم الذي بشرقيّ بيت المقدس ، وأبوابُ الأسباطِ أسباطِ بني إسرائيل وهي ستة أبواب ، وبابُ الوليدِ ، وبابُ الهاشمي ، وبابُ الخضرِ ، وبابُ السكينة .

وفيه مِحرابُ مريمَ ابنةِ عِمرانَ رضي الله عنها التي كانت الملائكة تأتيها فيه بفاكهة الشتاء في الصيفِ وفاكهةِ الصيفِ في الشتاءِ ، ومحرابُ زكريا الذي بشّرته فيه الملائكة بيحيى ،

وهو قائم يصلّي في المحراب ، ومحرابُ يعقوبَ ، وكرسيُّ سليمان صلواتُ الله عليه الذي كان يدعو الله عليه ، ومغارةُ إبراهيمَ خليل الرحمنِ عليه الصلاة والسلام التي كان يتخلّى فيها للعبادة ، والقُبةُ التي عرج النبي صلى الله عليه وسلم منها إلى السماء ، والقبةُ التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالنبيين ، والقبةُ التي كانت السلسلةُ تهبطُ فيها زمانَ بني اسرائيل للقضاء بينهم ، ومُصلّى جبريلَ عليه السلام ، ومُصلّى الخِضرِ عليه السلام .

فإذا دخلت الصخرةَ فصلِّ في أركانها وصلِّ على البلاطة التي تسامي الصخرةَ ، فإنها على بابٍ من أبواب الجنة .

ومولد عيسى بن مريم على ثلاثة أميالٍ من المسجد . ومسجد إبراهيمَ عليه السلام وقبرُه على ثمانيةَ عشرَ ميلاً من المدينة . ومِحراب المسجد بغربيه .

فضائل بيت المقدس

يُنصَب الصِّراطُ ببيتِ المقدس ، ويُؤتى بجهنمَ – نعوذ بالله منها – إلى بيت المقدس ، وتُزَفُّ الجنةُ ، يومَ القيامةِ ، زفّاً مثلَ العروسِ إلى بيتِ المقدس ، وتُزفّ الكعبةُ بحاجِّها إلى بيتِ المقدس ، ويقال لها : مرحباً بالزائرةِ والمَزورةِ . ويُزفُّ الحجرُ الأسودُ إلى بيت المقدس ، والحجرُ يومئذ أعظم من جبل أبي قبيس .

ومن فضائل بيتِ المقدس ، أن الله رفع نبيَّه صلى الله عليه وسلم إلى السماء من بيتِ المقدس ، ورفعَ عيسى بنَ مريم عليه السلام إلى السماء من بيت المقدس ، ويغلِبُ المسيحُ الدجّال على الأرضِ كلِّها إلا بيتَ المقدِس ، وحرَّمَ الله على يأجوجَ ومأجوجَ[1] ان يدخُلوا بيتَ المقدس ، والأنبياءُ كلُّهم من بيتِ المقدس ، والأبدال[2] كلُّهم من بيتِ المقدسِ . وأوصى آدمُ وموسى ويوسفُ وجميعُ أنبياء بني إسرائيل ، صلوات الله عليهم ، أن يُدفنوا ببيت المقدس .

---

١ يأجوج ومأجوج : أمم قيل ان طول واحدهم نصف قامة رجل مربوع ولهم انياب كأنياب السباع ومواضع الاظفار مخالب ولهم هلب عليه شعر .

٢ الأبدال : قوم بهم يقيم الله عز وجل الارض . وهم سبعون ، أربعون بالشام وثلاثون في غيرها ، لا يموت أحدهم الا قام مقامه آخر .

نتف من الاخبار

سليمان بن المُغيرة قال : كنتُ أجدُ من أبي أيوبٍ المازنيّ رائحةً طيبةً ليست برائحةِ شَرابٍ ولا رائحةِ طيبٍ ، فقلت له : أخبرني عن هذه الرائحة ، فقال : عَفْصٌ[1] آمر به ، فيُدقّ ويُنخَلُ ، فألتّه بقطرانٍ شامي ، ثم آخذ منه كلّ غداة على إصبعي ، فأدلكُ به أسناني وعُمُورَها[2] ، فتطيبُ نكهتُها ، وتشتدُّ لِثَتُها وعُمورُها .

•

الرّياشي قال : كانوا إذا أرادوا جاريةً مضغَت نصفَ جوزةٍ وأكلتها ، فلا تزال طيّبةَ النّكهةِ سائرَ ليلتها .

•

عبدُ الصمد بنُ همّام قال : كتب عامل عُمان إلى عمرَ بن عبد العزيز : إنا أُتينا بساحرة فالقيناها في الماء ، فطفت على الماء . فكتب إليه : لسنا من الماء في شيء ، إن قامت عليها

---

١ العفص : نتوء يكون على شجرة البلوط .

٢ عمور الأسنان : اللحم الذي بين مغارسها أو اللثة ، الواحد عَمر .

بدّنة وإلا خلّ عنها .

•

وقال رجل للحسن : أبا سعيد ، الملائكة خير أم الأنبياء ؟ فقال : قال الله جل ثناؤه : « قُل لا أقُول لكم عنْدي خَزائنُ اللهِ ولا أعْلَم الغَيْبَ ولا أقُولُ لكم إنّي مَلَك . » وقال : « لن يَسْتَنْكفَ المَسِيحُ أن يَكون عَبداً لله ولا الملائكةُ المقرّبون . » وقال : « ما نَهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مَلَكَين أو تكُونا من الخالدين . »

•

عن الضحّاك ، قال : مَن سمع الأذان في بَيته فقام يصلّي فقد أجاب .

•

العُتبي قال : سمي المحرّم لأنه جُعل حَراماً . وصَفرُ لإصفار مكة من أهلها . والربيعان للخِصب فيهما . والجُماديَانِ لجمودِ الماء فيهما من شدةِ البردِ . ورَجبٌ لترجيبِ[1] العربِ أسنّتَها . وشَعبانُ لانه شَعَبَ[2] بين رجب ورمضان . ورمضانُ

---

١ الترجيب : التعظيم .
٢ شعب : فرّق وفصل .

لإرمـاضِ[1] الأرضِ من الحر . وشوالٌ لأنَّ الإبِـلَ شالـَت[2] بأذنابِها فيه لحملِها . وذو القِعدةِ لقعودهِم فيـه عن الغَزوِ من أجل الحجِّ . وذو الحِجّةِ للحجِّ .

•

يونس النحوي ، قال : قال لي رؤبة وأنا اسأله عن الغريب : حتى متى تسألني عن هـذه الأباطيلِ ، وأزوِّقها لك ؟ أما ترى الشيبَ قد أخذ في عارضَيك ولِحيتك ؟

•

وقال الخليل بن أحمـد : إنك لا تعرفُ خطأ معلِّمك حتى تجلسَ عندَ غيرِه .

•

الأصمعي ، قال : لا تكون حُطْمة[3] ، حتى يكونَ قبلَها بُرَيق تأتي فتَحطِم .

•

ومن حديث أبي رافع ، عن أبي ذَرّ ، قال قلت : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، كم عدد النبيّين ؟ قال : مائةُ ألفٍ

---

١ الارماض : الاحراق ، واشتداد الحرّ .
٢ شالت : رفعت .
٣ الحطمة : السنة الشديدة .

واربعةٌ وعشرون ألفاً .

•

قَتادة ، قال : طولُ الدنيا مائةُ ألفٍ وأربعـةٌ وعشرون ألفَ فرسَخ .

•

ومن حديث عبد الله بن عمرو ، قال : العرشُ مطوقٌ بحيةٍ ، والوحيُ ينزل في السلاسل .

•

ومن حديث ابن أبي شَيْبة ، أن العبّاس بن عبد المطلب كان أقربَ شحمةٍ أذنٍ إلى السمـاء ، وكان إذا طاف بالبيت يُشبّه بالفُسطاط العظيمِ ، وإذا مشى بين قوم تحسبُه راكباً .

•

ومن حديث عُروة بن الزبير عن عائشة عن النبي صلّى الله عليه وسلم ، قال : خلق الله الملائكـةَ من نُور ، والجانّ من نار ، وآدمَ من تُراب .

•

وسأل أعرابي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : متى القيامة ؟ فقال له : وما أعددتَ لها ؟ قال : لا شيء والله غير أني أحبُّ

الله ورسوله . قال : المرء مع من أحب .

•

زياد عن مالك أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال : « إياكم والشِرْكَ الأصغرَ . » قالوا : وما الشركُ الأصغرُ يا رسول الله ؟ قال : « الرياء . »

•

زياد عن مالك ، قال : إذا لم يكن في الرجل خيرٌ لنفسِه لم يكن فيه خيرٌ لغيرِه ، وإذا رأيت الرجلَ يستحلُّ مالَ عدوِّه ، فلا تأمنْهُ على مال صديقه .

•

وقال بعضُهم : سمعتُ حُذيفة يحلفُ لعثمانَ في شيء بلغَه عنه ما قاله ، ولقد سمعتُه يقوله فسألته عن ذلك ، فقال : يا ابن أخي ، اشتري ديني بعضَه ببعضٍ لئلا يذهبَ كلُّه .

أخذه الشاعر[1] فقال :

نرقّع دنيانا بتَمزيق ديننا ،
فلا ديننُا يَبقى ، ولا ما نرقّع

•

---

[1] ابراهيم بن أدهم .

زياد عن مالك أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : « الغَيرةُ من الإيمانِ ، والمِراءُ من النِفاق . »

•

الأصمعي قال : سأل عليّ بن أبي طالب الحسنَ ابنَه رضوان الله عليهم : كم بين الإيمان واليقين ؟ قال : أربعُ أصابع . قال: وكيفَ ذلك ؟ قال : الإيمان كُلُّ ما سَمِعَتْه أذناك وصدّقه قلبُك ، واليقين ما رأته عيناك فأيقن به قلبُك ، وليس بين العين والأذنين إلا أربعُ أصابع .

•

الرّياشي قال : ضَرب عليّ كرم الله وجهَه بيده زانياً ، فأوجعه إيجاعاً شديداً . فقال له عمٌّ المضروب : بعضَ هذا الضربِ [1] ، فقد قَتَلته . فقال عليّ رضي الله عنه : إنه وَتَرَ مَن ولدَها من قِبَل أبيها وأمها من النبيين والصالحين إلى آدم .

قال الرياشي : فكنتُ أعجبُ من شُنعة حدّ الرّجم ، فلما سمعتُ شُنعةَ الذنبِ هان عليّ الحدّ .

•

الأصمعي عن أبي عمرو قال : دمُ الحيض غذاءُ المولود .

•

---

١ بعض هذا الضرب : اي اضربه بعض هذا الضرب أو خفّف .

أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينشدُ ضالّةً له ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا وجدتَها ، لا وجدتَها ، إنما المساجد لما بُنيت له . »

•

الأصمعي عن أبي عمرو قال : أعرقُ الناس في الخلافة عاتكةُ بنتُ يزيدَ بنِ معاويةَ ، أبوها خليفة ، وجدُّها خليفة ، وأخوها معاوية بنُ يزيدَ خليفة ، وزوجُها عبدُ الملك بن مروان خليفة ، وولدُها يزيد بن عبد الملك خليفة ، وأربابُها الوليد وسليمان وهشام خلفاء .

•

أنس بن مالك قال : أمّنَ النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم الناسَ يومَ فتح مكةَ إلا أربعةً ، فإنه قال : اقتلوهم وإن وجدتموهم معلّقين بأستارِ الكعبة ، وهم عبدُ العزّى بنُ يزيدَ بنِ خطَل ، ومِقْيَس بنُ صُبابَة الكِندي ، وعبدُ الله بن أبي سَرحٍ ، وأم سارةَ . فأما عبد العزّى فإنه قُتِل وهو معلّقٌ بأستار الكعبة . وأما عبدُ الله بن أبي سرحٍ فإنه كان أخا عثمانَ ابنِ عفّانَ من الرِضاعة ، فأتى به النبيُّ صلى الله عليه وسلم فبايعهُ وشفعَ له عنده . وأما مِقْيس ، فإنه كان له أخٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقُتِل خطأً ، فبعثَ معه رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم رجلاً من بني فِهرٍ ، ليأخذَ له عَقْله من الأنصارِ ، فلما اجتمعَ له العقلُ أخذَهُ وانصرفَ مع الفِهري ، فنام الفِهري في بعض الطريق فوثب عليه مِقْيَس فقتله ، ثم أقبل وهو يقول :

شَفى النفسَ مَن قد بات بالقاع مُسنَداً ،
يُضرِّجُ ثوبَيه دماءُ الأخادعِ[1]

قتلتُ به فِهراً ، وأغرمتُ عقلَه
سَراةَ بني النجّار ، أربابَ فارعِ[2]

حَللتُ به نَذري ، وأدركتُ ثُؤرتي ،
وكنتُ ، إلى الأوتار ، أولَ راجعِ[3]

وأما أمُّ سارَة فإنها كانت مولاةً لقريش فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم واشتكت إليه الحاجةَ ، فأعطاها شيئاً ، ثم أتاها رجلٌ فبعث معها كتاباً إلى أهلِ مكة يتقرّبُ به إليهم ليُحفَظ في عياله ، وكان عيالهُ بمكة ، فأخبر جبريلُ النبيَّ صلى

---

١ شفى ، مسهّل شفأ : أبغض . الاخادع ، الواحد اخدع ، وهما اخدعان : عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا .

٢ فارع : حصن بالمدينة .

٣ الثؤرة : الثأر .

الله عليه وسلم ، فبعث النبيُّ صلى الله عليه وسلم في إثرِها عمرَ ابن الخطاب وعليَّ بن أبي طالب فلحقاها ، ففتّشاها فلم يقدرا على شيء ، فأقبلا راجعين ..

ثم قال أحدُهما لصاحبِه : والله ما كَذَبنا ولا كُذِبنا ، ارجِعْ بنا إليها . فرجَعا إليها ، فسلاّ سيفيهما ، ثم قالا : لتدفَعِنّ إلينا الكتابَ أو لنُذيقنّك الموت .

فأنكرته ، ثم قالت : أدفعُه إليكما على أن لا تؤدّياني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقبلا منها ذلك ، فحلّت عِقاص رأسِها ، وأخرجت الكتاب من قَرن مِن قرونها ، فرجَعا بالكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فدفعاه إليه ، فدعا الرّجلَ وقال له : ما هذا الكتاب ؟

فقال له : أُخبركَ يا رسولَ الله ، إنّه ليس ممّن معَك أحدٌ إلا وله بمكة من يحفظُه في عياله غيري ، فكتبتُ بهذا الكتاب ليكافئوني في عيالي .

فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياءَ تُلقون إليهم بالمودّة . »

•

أمر المُصعبُ بنُ الزبير رجلًا من بني أسد بن خُزيمة بقتلِ مُرّةَ بنِ محْكانَ السعدي ، فقال مُرّة :

بني أسد ، إن تقتُلوني تُحاربوا
تميماً ، إذا الحربُ العَوانُ اشمعلّتِ[1]

ولستُ ، وإن كانت إليّ حبيبةً ،
بباكٍ على الدُّنيا ، إذا ما تولّتِ

•

وكان ابنُ سعد الأسدي قد تولّى صدَقات الأعراب لعُمر ابن عبد العزيز وأعطياتهم ، فقال فيه جريرٌ يشكو عمر :

حَرمتَ عيالاً لا فواكهَ عندَهم ،
وعند ابن سعدٍ سُكّرٌ وزَبيبُ

وقد كان ظنّي بابنِ سعدٍ سعادةً ،
وما الظنُّ إلا مُخطئٌ ومُصيبُ

فإن تَرْجِعوا رِزقي إليّ ، فإنّه
مَتاعُ ليالٍ ، والأداءُ قريبُ

تُحَيّا العظامُ الراجفاتُ من البِلى ،
وليس لداء الرُّكبتين طبيبُ

•

---

١ العوان : التي حورب فيها مرة بعد مرة . اشمعلت : تفرقت وانتشرت .

لما توجهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبوك كان أبو خَيْثمةَ فيمن تخلّف عنه ، فأقبل ، وكانت له امرأتان ، وقد أعدّت كلٌّ واحدة منهما من طيّبِ ثمر بُستانها ، ومَهّدت له في ظِلٍّ حائطٍ . فقال : أظِلٌّ ممدودٌ ، وثمرةٌ رطبةٌ طيبة ، وماءٌ باردٌ ، وامرأةٌ حسناءُ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، في الضِّحِّ والرِّيحِ ، ما هذا بخير . ثم ركب ناقته ومضى في إثره . فقالوا : يا رسول الله ، نرى رجلاً يَرفعهُ الآلُ[1] ، فقال : كُن أبا خَيثمة . فكانَهُ .

الضِّحّ : الشمس ، تقول العرب في أمثالها : « جاء فلان بالضِّحِّ والريح » ، إذا أقبل بخير كثير .

---

[1] يرفعه الآل: اي يريه ، يظهره . الآل: ما يشاهد في الضحى كالماء بين الارض والسماء يرفع الشخوص .

نتف من الطب

قال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه : « لا تزالون أصحّاءَ ما نَزعتُم ونَزوتم . » يريد ما نزعتم عن القسي ، ونزوتم على ظهور الخيل ، وإنما أراد الحركة والله أعلم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سافروا تَصِحّوا . »

•

وقال بعض الحكماء : لا ينبغي للعاقل أن يُخلي نفسَه من ثلاث في غير إفراط : الأكل ، والمشي ، والجماع . فأما الأكل فإن الأمعاء تَضيق لتَرْكِه . وأما المشي فإن من لم يتعاهده أوشك أن يطلبه فلا يجده . وأما الجماع فإنه كالبئر ، إن نُزِحت جَمّت ، وإن تُركت تَخثّر ماؤها[1] ، وحقٌّ هذا كلّه القصدُ فيه .

•

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من استقلّ برأيه فلا يتداوى . فربّ دواء يورث الدّاء . »

•

---

١ جمت : كثر ماؤها . الخثورة : نقيض الرقة .

وقال الحكماء : إياكَ وشربَ الدواء ما حملَتْكَ الصحة .

•

وقالوا : مَثَلُ الدواء في البدنِ مثلُ الصابون في الثوب ، ينقّيه ويُخْلِقُه .

•

الأصمعي عن رجل عن عمّه قال : لقيتُ طبيبَ كِسرى شيخاً كبيراً قد شدّ حاجبيه بخِرقةٍ ، فسألته عن دواء المَشي[1] ، فقال : سَهمٌ يُرمى به في جوفِك أصابَ أم أخطأ .

•

وفي كتاب التفصيل للهند : الدواءُ من فوقُ والدواءُ من تحتُ ، والدواءُ لا من فوقُ ولا من تحتُ .

تفسيره : من كان داؤه فوق سُرّتهِ سُقي الدواء ، ومن كان داؤه تحتَ سُرّتهِ حُقِنَ بالدواءِ ، ومن لم يكن له داءٌ لا مِن فوقُ ولا من تحتُ لم يُسقَ الدواءَ ولم يُحقَن به .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عُميس : بمَ كنتِ تَستمشين في الجاهلية ؟ قالت : بالشُّبرُم[2] . قال : حارٌّ

---

١ المشي : استطلاق البطن .

٢ الشبرم : نبات له حب كالعدس واوراقه تشبه الطرخون .

بار» . ثم قالت : استمشيتُ بالسّنا[1] . قال : لو أن شيئاً يرد القدرَ لردّه السّنا .

•

ومن حديث أبي هُريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم ، وهم يتذاكرون الكَمأةَ ، ويقولون فيها : جُدريّ الأرض ، فقال : إن الكمأة من المَنّ ، وماؤها شفاءٌ للعينِ ، وهي شفاء من السُمّ .

•

وأهدى تميمٌ الداريّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم زبيباً ، فلما وضعه بين يديه قال لأصحابه : « كُلوا فنعمَ الطعام الزّبيبُ ، يُذهِبُ النَصبَ ، ويشدُّ العصبَ ، ويطفىء الغضبَ ، ويُصفّي اللونَ ، ويُطيّبُ النّكهةَ ، ويُرضي الرب . »

•

وقال طلحة بن عبد الله : دخلتُ على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس في جماعة من أصحابِه ، وفي يده سَفرجلةٌ يقلّبها ، فلما جلستُ إليه دَحرجَ بها نحوي ، وقال : « دونكها أبا محمد ، فإنها تشدُّ القلبَ ، وتُطيّب النفسَ ، وتَذهب

---

[1] السنا : نبات كأنه الحناء زهره الى الزرقة واجوده الحجازي ويعرف بسنا مكة وهو مسهّل .

بطَخاء الصدر[1] . »

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أربع من النُّشَر[2] : شُربُ العسلِ نُشرةٌ ، والنظرُ الى المـاء نشرة ، والنظرُ الى الخُضرة نشرة ، والنظرُ إلى الوجهِ الحسن نشرةٌ . »

•

وقال عثمان بن عفّان : سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلغ الخمسين أمِنَ الأدواءَ الثلاثةَ : الجنونَ ، والجُذامَ ، والبرصَ . »

•

ومن حديث زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنزلَ الله من داءٍ إلا أنزل له دواءً ، عَلِمَهُ من عَلِمَهُ وجَهِلَهُ من جَهِلَهُ . »

•

ومن حديث أبي سعيد الخُدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل الدواءَ الذي أنزل الداء . »

•

ومن حديث زيد بن أسلم أن رجلاً أصابه جرحٌ في بعض

---

١ الطخاء : الثقل والكرب .
٢ النشرة : ضرب من الرقية والعلاج .

مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا له رجلين من بني أنمار ، فقال : أيُّكما أطبُّ ؟ فقال له رجل من أصحابه : في الطِبِّ خيرٌ ؟ قال : « إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء . »

•

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « عليكم بهذا العودِ الهنديّ ، فإن فيه سبعةَ اشفيةٍ يُسعَطُ به من العُذْرة[1] ، ويُلَدُّ[2] به من ذات الجنب . »

يريد القُسْط الهندي ، وهو الذي تسميه العامة الكُسْت .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عليكم بهذه الحبّةِ السوداءِ ، فإن فيها دواءً من كل داء إلا السامّ » يعني الشُّونيز.

•

وفي مُسنَد ابن ابي شَيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالإِثمدِ عندَ النوم فإنه يُحِدّ البصرَ ، ويُنبِت الشعرَ . »

وفيه : أن عبد الله بن مسعود قال : عليكم بالشفاءين : القرآنِ والعسلِ .

•

---

١ العذرة : داء في الحلق .

٢ لده : سقاه اللدود ، هو ما يصب من الدواء بمسعط في أحد شقي الفم .

الأصمعي قال : ثلاث ربما صرعت أهلَ البيت عن آخرِهم : الجَرادُ ، ولحومُ الإبل ، والفُطْر ، وهو الفَقْع .

•

ويقولُ أهلُ الطب : إن أردأ الفُطْرِ ما ينبتُ في ظلالِ الشجرِ ، ولا سيما في ظلال الزيتون ، فإنه قتّال .

•

وقال وهب بن مُنبِّه : إذا صام الرجلُ زاغ بصرُه ، فإذا أفطرَ على الحلوى رَجع إليه بصرُه .

•

وأقبل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ، إني كنت في الجاهلية ذا فِطنةٍ وذا ذِهن ، وأنكرتُ نفسي في الإسلام . فقال له : أكنت تنامُ في القائلة ؟ قال : نعم . قال : « فعُد إلى ما كنت عليه من نومِ القائلة . »

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالشجرةِ التي كلّم الله منها موسى بن عِمران ، زيتِ الزيتونِ فادّهنوا به ، فإن فيه شفاءً من الباسور . »

وقال : في الزيتونة يقول الله : « وشجرةً تخرُجُ من طُور

سَيْناءَ تَنبُتُ بالدُّهنِ وصِبْغ للآكِلين . »

•

ويقول الأطباءُ : إذا خرجَ الطعامُ من قبلِ ستٍّ ساعاتٍ فهو من ضَرر ، وإذا أقام في الجوفِ أكثرَ من أربعٍ وعشرين ساعة فهو من ضَرر .

•

دخل المُغيرة بنُ شعبة على معاوية ، فقال له معاوية : أنكرتُ من نفسي خَصلتين : قلّ طُعمي[1] ، ورقّ عظمي . فإن تدثّرتُ بالثقيلِ أثقلني ، وإن تدثّرتُ بالخفيف أصابني البرد .

قال : نم يا أمير المؤمنين بين جاريتين سمينتين تُدفئانك بشحُومِهما ، وتحمِلانِ عنك ثِقَل الدثار بمناكبِهما . وأكثِرْ من الألوانِ ، وكُل من كلِّ لونٍ ولو لُقمةً ، فإنّ ذلك إذا اجتمَع كثيرُه نَفَع .

فدخل عليه بعدَ ذلك فقال له معاويةُ : يا أعورُ ، قد جرّبنا ما قلتَ فوجدناه موافقاً .

---

١ الطعم : الطعام .

التعويذ والرقي

عن أبي عِصمة قال : سألتُ سعيد بن المسيَّب عن تعليق التعويذ ، قال : لا بأسَ به .

•

وكان مجاهدٌ يكتبُ للصبيان التعويذَ ويعلّقه عليهم .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أصبح : أعوذُ بكلماتِ اللهِ التّامّةِ ، من كلّ عينٍ لامّةٍ ، ومن كل شيطان وهامّةٍ ، لم يضرّه عينٌ ولا حيّةٌ ولا عقربٌ .

•

وفي مُسند ابن أبي شيبة أن خالدَ بنَ الوليد كان يفزَعُ في نومه ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « أخبرَني جبريلُ أن عِفريتاً من الجنّ يَكيدُك ، فقل : أعوذُ بكلماتِ الله التامّات المباركات التي لا يجاوزهنّ بَرٌّ ولا فاجرٌ من شرِّ ما يَنزلُ من السماءِ ، وما يُعرجُ فيها ، ومن شرّ ما

ذرأ[1] في الأرضِ وما يخرجُ منها ، ومن شرّ كل ذي شر . »

فقالهن خالد ، فذهب ذلك عنه .

•

وفي مسند ابن أبي شيبة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم بينا هو يصلي ذات ليلةٍ إذ وضع يدَه على الأرض فلدَغتَه عقربٌ ، فتناول نعلَه فقتَلها ، فلما انصرفَ قال : « لعنَ الله العقرب ، ما تدعُ نبياً ولا غيرَه . » ثم دعا بماءٍ ومِلح ، فجعلَه في إناءٍ ثم صبّ على أصبعه منه ، ومسحَها وعوّذها بالمعوّذتين .

•

وفي مُسند ابن أبي شَيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا رُقيةَ إلا من عينٍ أو حُمَة . » والحمة : السم .

•

سفيان بن عُيينة قال : بينا عبد الله بن مسعود جالساً تُعرَض عليه المصاحف ، إذ أقبلت أعرابيةٌ فقالت : أبا فلان ، لرجل جالسٍ إليه لقد لُدغ مُهرُك ، وتركتُه كأنه يدورُ في فلكٍ ، فقم فاسترقِ له .

فقال له ابن مسعود : لا تسترقِ له ، واذهب فانفُث في

---

[1] الذرء : الخلق .

مِنخَرِه الأيمن أربعاً وفي الأيسر ثلاثاً ، وقل أذهِب البأسَ ، يا ربّ الناسِ ، فإنه لا يُذهِبه إلا أنت .

ففعل ، فلم يبرح حتى أكلَ وشرِب وبالَ وراث .

•

دخل أبو بكر على عائشة وهي تشتكي ، ويهوديّةٌ ترقيها ، فقال لها : ارقيها بكتاب الله .

•

الحجامة والكي

قال عبد الله بن عباس : احتجمَ النبي صلى الله عليه وسلم في رأسه من أذًى كان به .

•

وفي مُسند ابن أبي شَيبة أن عُيينةَ بن حُصنٍ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُحجَمُ في فأسِ رأسه ، فقال : ما هذا ؟ قال : « هذا خير ما تداويتم به .. »

•

وفي مسند ابن أبي شيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خيرُ ما تداويتم به الحِجامةُ والقُسْطُ العربيّ[1] ، ولا تعذّبوا صِبيانكم بالغَمز من العُذرة[2] . »

وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خيرُ يومٍ تحتجمون فيه سبعةَ عشرَ ، وتسعةَ عشرَ ، وأحَدٌ وعشرون .

وفيه أنه قال : « إن كان في شيء مما تعالجون به خيرٌ ففي شَرطةِ من مِحْجم ، أو لَذعة من نار تواقِـعُ ألمـاً ، أو شَربةٍ من عَسل ، وما أحِبُّ أن أكتوى . »

---

١ القسط العربي : من توابل القدماء .

٢ العذرة : داء في الحلق .

السم والسحر

في مسند ابن أبي شيبة أن يهود خيبر أهدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاةً مسمومة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجمعوا لي مَن هاهنا من اليهود . » فجمعوا له ، فقال لهم : هل جعلتم في هذه الشاةِ سُمّاً ؟ قالوا : نعم . قال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنتَ كاذباً أن نستريحَ منك ، وإن كنتَ نبياً لم يَضُرك السم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما زالت أكلةُ خيبرَ تُعادُّني[1] ، فهذا أوانَ قطعتْ أبهري[2] . »

الزهري قال : أهدي لأبي بكر طعامٌ ، وعندَهُ الحارث بن كَلَدة طبيبُ العرب ، فأكلا منه ، فقال الحارث لأبي بكر : لقد أكلنا والله في هذا الطعام سُمَّ سنة ، وإني وإياك لميّتانِ عندَ رأسِ الحولِ ، فماتا جميعاً عند انقضاء السنة .

•

وفي مُسند ابن أبي شيبة أَن رجلاً من اليهود سحرَ النبي

---

١ تعادني : تراجعني ويعاودني ألم سمها .
٢ الأبهر : وريد العنق .

صلى الله عليه وسلم ، فاشتكى لذلك أياماً ، فأتاه جبريل فقال له : إن رجلاً من اليهودِ سحرَك ، عقدَ لك عُقَداً وجعلها في مكان كذا وكذا . فأرسل علياً رضي الله عنه فاستخرجها ، وجاء بها ، فجعل يحلها ، فكلما حلّ عُقدة وجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خِفّة ، ثم قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كأنما أنشِط من عِقال[1] .

•

وفي مُسند ابن أبي شَيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال : « طُبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — والطِّب : السحر — فبعث إلى رجل فرقاه . »

---

١ أنشط : حلّ .

العين

تقول العرب : رجل مَعِين ، إذا أُخذ بالعين .

•

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لو سبق القدرَ شيءٌ لسبقَتْه العينُ .

•

وتقول العرب : إن العين تُسرِعُ بالإبل إلى أوصامها[1] ، وبالرجال إلى أسقامِها .

•

ونظر عامر بن أبي ربيعة إلى سهل بن حُنيف يستحم ، فقال: ما رأيت كاليوم ولا جِلدَ مخبَّأةٍ[2] . قال : فلُبِط به[3] ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عامر بن أبي ربيعة أن يتوضأ له ثم يطهره بمائهِ ، ففعل ، فقام سهل بن حنيف كأنما أُنْشط من عِقال .

•

---

١ الوصم : المرض .

٢ ولا جلد مخبأةٍ : يريد ان جلده يفضل جلد المرأة المخبأة بنعومته وجماله .

٣ لبط به : صرع من عين أو حمى .

أبيات في الطب

وجدناها في كتاب فرج بن سلام

النافجـاء بشيرَجٍ ملتوت ،
فيـه شفاء للرياح مميت[1]

يُغلى لذلك حُلبَةٌ في مائهـا ،
تَسقيه مصطبحـاً ، وحين يبيت[2]

•

وقال :

ليس شيء أنفى عن الجسم للرِّيح
مـن الأنجـدان والمَحروث[3]

•

---

١ النافجاء: لعلها من انواع النبات ، او من النافجة، الجلدة التي يجتمع فيها المسك. الشيرج : ما نسميه السيرج .
٢ الحلبة : نبت له حب اصفر .
٣ المحروث : أصل الأنجدان ، نبات يطرد الريح ويقال له ايضاً الحلتيت .

وقال :

في الحُرْف سبعونَ دواءً ، وفي
الكمّونِ ، فيما قيل ، ستّونا[1]

قد قاله هِرْمِسُ في كُتْبِهِ ،
فلا تَدَعْ حُرْفاً وكمّونا[2]

•

وقال :

بسعترِ بَرٍّ داوِ كُلَّ مُبَلغَمٍ ،
وذا المِرّة الصفراء بالرازيانقِ[3]

وذو المِرّة السوداء ذاك علاجُه ،
تعاهُدُ فَصْد العِرق من كفّ حاذقِ

وذو الدم ، فليُكثِر ، لذاك ، حِجامةً ،
فما غيرُها شيء له بمُوافقِ

•

---

١ الحرف : حب الرشاد .
٢ هرمس : رياضي وفلكي وفيلسوف مشهور من مدرسة الاسكندرية ، ولد سنة ٢٧٦ ق. م ومات جوعاً .
٣ الرازيانق ، هو الرازيانج : اليانسون .

وقال :

لا تكن عند أكل سُخن وبُهرٍ
ودخول الحَمّام تَشربُ ماءَ[1]

فإذا ما اجتنبت ذلك منه ،
لم تخفْ ما حييت ، في الجوف ، داءَ

•

وقال :

إن أردت الرُّقادَ في الليل ، فاجعل
قُطنةً عندها على الأذنين

فبِه تظهر السلامة للأذنين ،
مما يضر بالعينين

•

وقال :

لا تَشربِ الماء بعدَ النومِ من ظمأٍ ،
ولا تَبِت ، أبداً ، من غير منتفضٍ[2]

---

١ البهر : التعب ، الاعياء .

٢ اراد بالانتفاض : اخراج الريح من البطن .

فجوفُ من بات من ماء ، ومن ثقَلٍ
ومن رياحٍ ، دعـا كُـلًّا إلى مرضِ

•

وقال :

أُحسُ ، في الحمّام ، ماءً سُخُناً ،
وليكـن ذلك في البيتِ السُخُنْ

يسلم البطـنُ من الداءِ ، ولا
يَعتريه وجعٌ طـولَ الزمن

•

وقال :

إن دخلتَ الحمّام ، فاضرب على رأسِك
بالمـاء السُخنِ سبعَ مرارِ

فبـه تظهر السلامـة ، من
كل صُداعٍ ، بقُـدرةِ الجبّـار

•

وقال :

لا تُجامـِع ، ولا تمطّـى ، ولا تدخل ،
إذا مـا شبعتَ ، في الحمـامِ

فهو دفعٌ لكل مـا يتـّقيـه المرءُ
مـن فـالجٍ وكلّ سـَقـامِ

•

وقال :

ما كان في الرأس أخرجه بغـرغرةٍ ،
فالقيء ُيخرجُ ما في الصدر من عفنِ

وكلُّ مـا كان في صُلبٍ ، فذلك لا
يُستـلّ إلا باخلاط من الحُقـن

•

وقال :

على الرّيقِ في البرد احس ُماءً مسخّناً ،
وفي الصيف ماءً بارداً ، حينَ تُصبح

وذلك فيما قيلَ فيـه مَصحّةٌ ؛
وذاك على إدمانـه الجسمُ يَصلُح

•

وقال :

إنّ مَن باكرَ الغـَداءَ ، وبعدَ
العَصرِ ، منـه تعاهـدٌ للعشاء

فبإذن الإله يبقى صحيحاً ،
سالماً ، في الحياة ، من كلّ داء

•

وقال :

إنّ رأسَ الطبّ أن تـدلُكَ بالزّنبقِ دَلْكا

باطنيْ رجليك عند النومِ ، ينفي السُّقمَ عنكا

•

وقال :

شجر البراغيثِ الكريهِ مَشمُّهُ ،
يُبري بإذن الله من داء الحبَن[1]

•

وقال :

إنّ السواكَ لَيستحبُّ لِسُنّةٍ ،
ولأنه مما يَطيب به الفمُ

---

١ الحبن : داء في البطن يعظم منه ويرم .

لم تخشَ من حَفَر ، إذا أدمنتَه ،
وبه يسيل من اللهاة البلغَمُ[1]

•

وقال :

احتجم بينَ كلِّ شهرين ، ولتُتلفَ
على أثرةٍ من الأيام[2]

سبعةٌ منكَ للزَّبيب بلا عَجْمٍ ،
تُبَدِّيه قبل كل طَعام[3]

فهو للعينِ ، وللَّهاةِ ، وللحلْق
أمانٌ له من الأسقام

•

وقال :

ولا تُغطِّ الرأسَ في وقت ما
تخرُجْ من الحمَّامِ ، واخشَ الضرَر

إنَّ بخارَ الرأسِ في وقت ما
وصفتُه ، داءٌ يصيب البَصر

•

---

١ الحفر : سلاق في أصول الأسنان أو صفرة تعلوها .

٢ الأثرة : اختصاص المرء نفسه بأحسن الأشياء ، والأصل بفتح الثاء ، وسكن للشعر .

٣ العجم : البزر ، والأصل بفتح العين ، وسكن للشعر .

وقال :

السمكُ المالحُ ، إن لم يكن
بدٌّ من الأكل له ، فانعم

بالطّبخِ أكثِرْ زيتَه ثم كل ،
من قبلُ ، مأدوماً من المطعم

•

وقال :

اطلِ منكَ الشعرَ في
كلِّ أربِعا لا تدورْ

وليكن غسلُكَ بالبارِدِ
منه ، والطّهور

إنه يَزعَرُ منه
شَعرُ الجسم الكثير[1]

إنني طَبٌّ بما
يجهلُهُ الناسُ ، خَبير[2]

---

١ يزعر : يقلّ .
٢ الطب : الخبير بالشيء العالم به .

الهدايا

كتب سعيد بن حُميد إلى بعض أهل السلطان في يوم النَّيروز :

أيُّها السيِّد الشريفُ ، عشتَ أطولَ الأعمار ، بزيادةٍ من العمر ، موصولة بقرائنها من الشكرِ ، لا ينقضي حقٌّ نعمةٍ حتى تُجدِّد لك أخرى ، ولا يمرُّ بك يوم إلاّ كان مقصّراً عما بعده ، موفياً على ما قبله . إنّي تصفّحتُ أحوالَ الأتباعِ الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة ، فالتمست التأسّيَ بهم في الإهداء ، وإنْ قصّرت بي الحالُ عن الواجب ، وإني وإن أهديتُ نفسي فهي ملكٌ لك ، لا حظّ فيها لغيرك ، ورميتُ بطرفي إلى كرائم مالي ، فوجدتها منك . فكنت إن أهديتُ منها شيئاً كمهدي مالِكَ إليك ، وفزعتُ إلى مودتي ، فوجدتُها خالصةً لك قديمةً غيرَ مستحدثة ، فرأيت إنْ جعلتُها هديّتي لم أجدِّد لهذا اليوم الجديد بِرّاً ولا لَطَفا ، ولم أميِّز منزلة من الشُّكر بمنزلة من نعمتك ، إلاّ كان الشكرُ مقصِّراً عن الحقّ والنعمة زائدةً على ما تبلغه الطاقة ، فجعلت الاعترافَ بالتقصيرِ عن حقِّك هديةً إليك والإقرارَ بما يجب لك بِراً أتوصّل به إليك ، وقلت في ذلك :

إن أُهدِ مالاً ، فهو واهبُه ،
وهو الحقيقُ عليه بالشكرِ

أو أُهدِ شُكراً ، فهو مُرتَهن
بجميل فِعْلك آخر الدهرِ

والشمس تستغني ، إذا طلعت ،
أن تستضيء بسُنّة البدرِ[1]

●

وكتب بعض الكتّاب إلى بعض الملوك :

النّفسُ لك ، والمالُ منك ، والرجاء موقوفٌ عليك ، والأمَلُ مصروف نحوَك ، فما عسى أن أُهدي إليك في هذا اليوم ، وهو يومٌ سهّلَت فيه العادةُ سبيلَ الهدايا للسّادة ، وكرهت أن نُخْليه من سُنّته ، فنكونَ من المقصّرين ، أو أن ندّعي أنّ في وسعنا ما يفي بحقّك علينا ، فنكونَ من الكاذبين ، فاقتصَرنا على هدية تقضي بعضَ الحق ، وتنفي بعضَ الحقد ، وتقومُ عندكَ مقامَ أجملِ البِر . ولا زلتَ أيُّها الأميرُ دائمَ السرور والغِبطة ، في أتمّ أحوال العافية ، وأعلى منازلِ الكرامةِ ، تمرّ بك الأعيادُ الصالحةُ ، والأيامُ المفرحةُ ، فتُخلِقُها

---

١ السنة : الوجه ، أو دائرته .

وأنت جديدٌ ، تستقبلُ أمثالها ، فتلقاكَ ببهائِها وجمالِها . وقد بعثت الرّسول بالسّكّر لِطيبِه وحلاوته ، والسّفَرجل لفالِه وبركته ، والدِرهم لبقائِه عند كل مَن ملَكه ، ولا زلتَ حُلو المذاقِ على أوليائِك ، مرّاً على أعدائِك ، متقدّماً عند خلفاءِ الله الذينَ تليقُ بهم خدمتُك وتحسُن أفنيتُهم بمثلك . وقد جمعنا في هذه القصيدة ثناءً ومسَرّةً واعتذاراً وتهنئة ، وهي :

غادِ في المِهرجانِ كأساً شمولا ،
وأَطِعْني ، ولا تُطيعَنْ عَذُولا

فَهْو يومٌ ، قد كان آباؤك
الغرُّ يُحِلّونه محلاً جليلا

إنّ للصّيف دولةً قد تقضّت ،
وأراكَ الشتاءُ وجهاً جميلا

وتجلّت لك الرياضُ عن النّور ،
فكانت من كلّ شيءٍ بَديلا

فتمتّعْ باللهو ، لا زلت جذلانَ ،
وطَرفُ الزمان عنك كليلا

لم أجد لي هديةً ، حين حصّلتُ
كثيراً ملكتُه ، وقليلا

يعدِلُ الشُكرَ والثناءَ ، وإن لم
يكُ شكري ، لما أتيتَ ، عديلا

فجعلتُ ، الذي أُطيقُ من الشكرِ
على ما عجزتُ عنه ، دليلا

يا لها من هديةٍ تُقنِعُ المُهْدَى
إليه ، ولا تُعَنِّي الرسولا

•

وكتب بعض الشعراء إلى بعض أهل السلطان في المِهرِجان:
هذه أيامٌ جرت فيها العادة ، بإلطاف العبيدِ للسادةِ ، وإن كانت الصِّناعة تقصِّر عما تبلغُه الهِمّة ، فكرِهتُ أن أهديَ ، فلا أبلغَ مقدارَ الواجب ، فجعلت هديتي هذه الأبيات ، وهي :

ولما أن رأيتُ ذوي التَّصافي ،
تبارَوْا في هدايا المِهْرجانِ

جعلتُ هديّتي وُدّاً مُقيماً
على مرِّ الحوادثِ ، والزمانِ

وعبداً ، حين تُكرِمُه ، ذليلاً ،
ولكن لا يَقَرُّ على الهوان[1]

---

[1] يقر : يقيم .

يَزيدُكَ حينَ تُعطيه خُضوعاً ،
ويَرضى من نَوالِك بالأماني

•

وأهدى أبو العتاهية إلى بعض الملوك نعلاً وكتبَ معها :

نعلٌ بعثتُ بها لتلبسَها ،
تسعى بها قدمٌ إلى المَجد

لو كان يَصلُح أن أشرِّكها
خدِّي ، جعلتُ شِراكَها خدِّي[1]

•

وأهدى عليّ بن الجهم كلباً ، وكتب :

استوصِ خيراً به ، فإنّ له
عندي يداً ، لا أزال أَحمَدُها

يدلُّ ضيفي عليّ في غسَقِ الليل ،
إذا النارُ نامَ موقِدُها

•

أهدى أحمدُ بن يوسف مِلحاً طيِّباً إلى إبراهيم بن المهدي ،

---

١ الشراك : سير النعل . أشركها : أجعل لها شراكاً .

وكتب إليه : الثّقةُ بك سهّلت السبيلَ إليك ، فأهديت هديّةَ من لا يحتشمُ ، إلى من لا يَغتنم .

•

وأهدى إبراهيم بن المهدي إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي جرابَ ملح ، وجراب أُشنان[1] ، وكتب إليه :

لولا أنّ القلّة قصّرت عن بلوغِ الهمّة لأتعبتُ السابقين الى برّكَ ، ولكنّ البضاعةَ قعدَت بالهمّةِ ، وكرِهت أنْ تُطوى صحيفةُ البِرّ وليس لي فيها ذكر فبعثت بالمبتدإ به ليُمنه وبركتهِ ، والمختوم به لطيبهِ ونظافتهِ . وأمّا ما سوى ذلك فالمعبِّرُ عنا فيه كتاب الله تعالى إذ يقول : « ليس على الضّعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما يُنفِقون حرَج » إلى آخر الآية .

•

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى صديق له : لو كانت التّحفةُ على حسب ما يوجبه حقّك لأجْحفَ بنا أدنى حقوقِك ، ولكنّه على قدر ما يُخرجُ الوحشةَ ، ويوجبُ الأنسَ . وقد بعثت بكذا وكذا .

•

---

[1] الأشنان : نبت من الحمض تغسل به الأيدي .

وكتب رجلٌ إلى المتوكل على الله وقد أهدى إليه قارورةً من دهن الأترج[1] :

إن الهدية يا أميرَ المؤمنين ، إذا كانت من الصغيرِ إلى الكبيرِ فكلما لطُفت ودقَّت كانت أبهى وأحسن ، واذا كانت من الكبيرِ إلى الصّغيرِ ، فكلما عظمت وجلَّت كانت أنفعَ وأوقع. وأرجو أن لا تكونَ قصَّرتْ بي همةٌ أصارتني إليك ، ولا أخَّرَني إرشادٌ دلني عليك ، وأقول :

مـا قصَّرَت هِمّةٌ بلغتُ بها
بابَك ، يا ذا النّـدى وذا الكرم

حَسبي بِوُدّيكَ أن ظفِرتُ بـه
ذخراً وعزّاً ، يا واحدَ الأمم

•

أهدى حبيبُ بن أوس الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً ، وكتب معه إليه هذه الأبيات :

قد بعثنا إليك ، أكرمك اللهُ ،
بشيء ، فكـن له ذا قبولِ

---

١ الأترج : الكبّاد.

لا تَقِسْهُ إلى نَدى كفِّك الغمرِ ،
ولا نَيلِكَ الكثيرِ الجزيل

فاستجز قِلّةَ الهديّةِ مني ؛
إنّ جُهدَ المقلِّ غيرُ قليل

•

ومن قولنا في هذا المعنى وقد أهديت سلّيْ عنب ومعهما :

أهديتُ بِيضاً وسوداً في تلوّنها ،
كأنّها من بناتِ الرّوم والحَبَشِ

عذراءَ تؤكل أحياناً ، وتُشرب أحياناً ،
فتَعصِمُ من جوعٍ ومن عَطشِ

وأهديتُ حُوتَين وكتبت معهما :

أهديتُ أزرقَ مقروناً بزَرقاء ،
كالماء لم يَغذُها شيء سوى الماء

ذكاتُها الاخذُ ما تنفكُّ طاهرةً
بالبَرِّ والبحرِ ، أمواتاً كأحياء[1]

---

[1] يريد ان صيدها من البحر يغني عن ذبحها ، والذكاة : الذبح .

واهديت طبق وَرد ومعه :

رياحينُ أهديها لرَيحانـةِ المجدِ،
جنتها يدُ التّـخجيل من حُمرة الخدّ

وورد به حَيَّيت غُرّةَ ماجـدٍ،
شمائلُـهُ أذكى نسيماً من الورد

ووَشْيُ ربيعٍ مشرقِ اللون، ناضرٍ،
يلوح عليه ثوبُ وشيٍ من الحمدِ

بعثت بها زهراءَ من فوق زهرةٍ؛
كتركيب معشوقين خدّاً على خدّ

وكتبت على كأس :

اشربْ على منظرٍ أنيـقِ؛
وامزج بريقِ الحبيب ريقي

واحلـُل وشاحَ الكَعاب رفقاً؛
واحذَر على خصرِها الرّقيق

وقُل لمن لامَ في التّصابي:
إليك خـلّ عن الطريق

•

وأنشد أحمدُ بن أبي طاهر في هذا المعنى :

ما ترى في هديّةٍ من فقير ،
حِيلَ ما بينه ، وبين اليَسار

يُغرِب النّاسُ في الهَدايا إلى الناس ،
ويُهدِي غرائبَ الأشعار

مُحكماتٍ ، كأنها قِطع الرّوض ،
تحلّت أنوارُه بالبَهار[1]

•

وأنشد يزيد بن المهلب في المعتمد :

سيبقى فيك ما يُهدي لساني ،
إذا فنيتْ هدايا المِهرِجانِ

قصائدُ ، تملأ الآفاقَ ممّا
أحلّ الله من سِحر البيان

•

وقال آخَر :

جُعلتُ فِداك ، للنّيروزِ حقٌّ ،
وأنت عليّ أوجب منه حقّا

---

١ البهار : نبت طيب الرائحة .

ولو أهديتُ فيه جميع مِلكي ،
لكان جميعُه لك مسترَقّا

وأهديتُ الثّناءَ بنَظْم شعر ،
وكنتَ لذاك منّي مستحِقّا

لأنّ هديّة الألطاف تَفنى ؛
وأنّ هديّةَ الأشعار تبقى[1]

•

وقال حبيب :

فوالله لا أنفكُّ أُهدي شوارداً
إليك ، يُحمّلْن الثناء المنخّلا

ألذّ من السلوى ، وأطيبَ نفحةً
من المسك مفتوقاً ، وأيسرَ محملا

•

وقال مروانُ بن أبي حفصة :

بدولة جعفرٍ حُمِد الزمانُ ،
لنا بك كلَّ يومٍ مِهرجانُ

جعلتُ هديّتي لك فيه وشياً ؛
وخيرُ الوَشي ما نَسجَ اللسانُ

•

---

١ الألطاف ، الواحد لطف : الهدية .

وقال أحمد بن أبي طاهر :

مِن سنّة الأملاك ، فيما مضى
مِن سالف الدهرِ ، وإقبالهِ

هديّةُ العبد إلى ربّه ،
في جِدّة الدهر ، وأحوالهِ

فقلتُ ما أهدي إلى سيّدي
حالي ، وما خُوِّلْت من حاله

إن أهدِ نفسي ، فهيَ من نفسه ،
أو أهدِ مالي ، فهو من ماله

فليس إلا الحمدُ ، والشكرُ ،
والمَدحُ الذي يبقى لأمثاله

•

وقال الحمدوني ، وأهدى إليه سعيد بن حُميد أضحيةً مهزولةً ، فقال فيها :

لسعيدٍ شُويهةٌ ، نالها الضُّرُّ والعَجَفْ
فتغنّت ، وأبصرت رجلاً ، حاملاً علَفْ :
« بأبي من بكفّه بُرء دائي من الدنَف »
فأتاها مطمِّعاً ؛ وأتته لتُعتلَف

ثم ولّى ، فأقبلت تتغنّى من الأسف :

« ليته لم يكن وَقَفْ ، عذّبَ القلبَ وانصرف »

وقال الحمدوني : كتبت إلى الحسن بن إبراهيم ، وكان كلّ سنة يبعثُ إليّ بأضحية ، فتأخّر عنّي سنة ، فكتبت إليه :

سيِّدي أعرَضَ عني ، وتناسَى الودَّ مني
مَرَّ بي أضحَى وأضحَى ، أخلفاني فيه ظنِّي
لا يَراني ، فيهما ، أهلاً ، لظلِف ، ولقَرن
فتعزّيت بيأس ، ثم ضَحّيتُ بجِني
واصطبحت الراحَ يوماً ، ثم أنشدتُ أغني :
لا بجُرمٍ صدَّ عني ، صدَّ عني بالتجني

•

أهدت جاريةٌ من جواري المأمون تفاحةً له ، وكتبت إليه :
إني يا أمير المؤمنين لما رأيتُ تنافُس الرعية في الهدايا إليك ، وتواتُرَ ألطافهم عليك ، فكّرت في هديةٍ تخفُّ مؤونتها ، وتهون كُلْفتُها ، ويعظُم خَطَرُها ، ويجِلّ موقعُها ، فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت ، ويكمُل فيه هذا الوصف ، إلا التّفّاح ، فأهديت إليك منها واحدة في العدد ، كثيرة في التصرُّف ، وأحببتُ يا أمير المؤمنين أن أعربَ لك عن فضلها ، وأكشفَ

لك عن محاسنها ، وأشرحَ لك لطيفَ معانيها ، ومقالةَ الأطباء فيها ، وتفنُّنَ الشعراء في وصفها ، حتى ترمقَها بعين الجلالة ، وتلحظَها بمُقْلة الصيانة ، فقد قال أبوك الرشيد رضي الله عنه : أحسنُ الفاكهة التفاح ، اجتمع فيه الصُفرة الدُّرِّية ، والحُمرة الخمرية ، والشُّقرة الذهبية ، وبياض الفِضة ، ولونُ التِّبر ، يلذّ بها من الحواس العين ببهجتها ، والأنفُ بريحها ، والفم بطعمها.

وقال أرسطاطاليس الفيلسوف ، عند حضوره الوفاة ، واجتمع إليه تلاميذُه : التمسوا لي تُفاحة أَعتصمُ بريحها ، وأقضي وطري من النظر إليها .

وقال إبراهيم بن هانىء : ما عُلِّل المريض المبتلى ، ولا سكنت حرارة الثّكلى ، ولا رُدّت شهوة الحُبلى ، ولا جُمعت فِكرة الحيران ، ولا سُلَّت حسيفة[1] الغضبان ، ولا تَحيَّت الفِتيان في بيوت القِيان ، بمثل التفاح .

والتفاحة يا أميرَ المؤمنين ، إن حملتَها لم تؤذِك ، وإن رُميت بها لم تؤلمك ، وقد اجتمع فيها ألوانُ قوسِ قُزَحَ من الخضرة والحمرة والصفرة ، وقال فيها الشاعر :

حُمرةُ التفاحِ ، مع خضرتِهِ ،
أقربُ الأشياء من قوسِ قُزَح

---

[1] الحسيفة : الغيظ .

فعلى التفاح ، فاشرب قهوةً ،
واسقنيها بنَشاط وفرح

ثم غنِّ الآن كي تطربَني :
طرفُك الفتّانُ قلبي قد جرحْ

فإذا وصلتْ إليك يا أميرَ المؤمنين ، فتناولها بيمينك ، واصرف إليها يقينَك ، وتأمّل حُسنَها بطرفك ، ولا تخدِشها بظُفرك ، ولا تُبعِدها عن عينك ، ولا تبذُلها لخدَمِك ، فإذا طال لُبثُها عندَك ، ومُقامُها بين يديك ، وخِفتَ أن يرميها الدهر بسَهمه ، ويقصِدَها بصَرفه ، فيُذهِبَ بهجتها ، ويُحيل نَضرتَها ، فكلْها

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامر[1]

والسلامُ عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمةُ الله وبركاتُه .

فقال المأمون : احمِلوا إليها من كلِّ ما أُهديَ لنا في هذا اليوم .

•

---

[1] المخامر ، من خامره الداء : دخل جوفه ، والبيت لكثير عزة ، وعجزه :
لعزة من أعراضنا ما استحلت

وكتب العباس الهمداني إلى المأمون في يوم نَيروز :

أَهـدَى لك الناسُ المراكبَ ،
والوصـائفَ والذهبْ[1]

وهـديّتي حلوُ القصائـدِ ،
والمـدائحِ ، والخطبْ

فاسلمْ ، سلمتَ على الزّمان ،
من الحوادثِ والعَطبْ

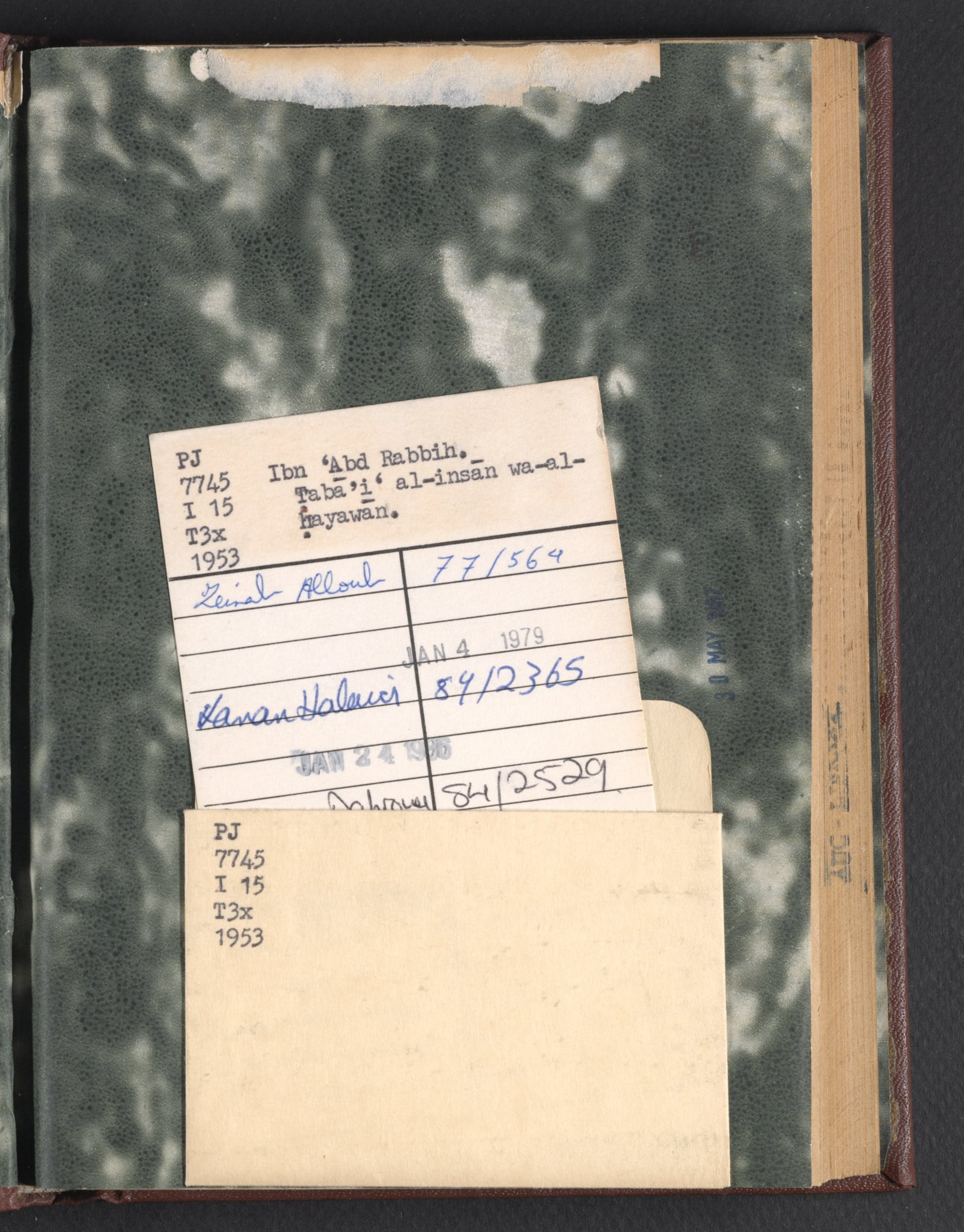
---

١ المراكب : اسم لما يركب من الدواب .

طبائع الانسان والحيوان

العقد الفريد

« تمّ »


PJ
7745
I 15
T3x
1953
Ibn ʻAbd Rabbih.
Ṭabāʼiʻ al-insān wa-al-
ḥayawān.
77/564
JAN 4 1979
84/2365
JAN 24 1986
84/2529
PJ
7745
I 15
T3x
1953

